أريك

ديـوان الثقـافتـين العربيـة والأرمنيـة

عـدد رقـم ٩٦ | السـنة الرابعـة عشـرة | أبريـل ٢٠٢٤

الذكري ١٠٩ للإبادة الأرمنية



الجريمة قائمة والجاني يُنكر

أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
علي ثابت صبري

سكرتير التحرير:
عطا أحمد درغام

العنوان: ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة

تليفون: ٢٢٩١٦٤٤٤ (٠٢)

رابط مجلة أريك الإلكتروني:
https://me-qr.com/l/ArekArabic



رقم الإيداع: ١٨٣٧٤/ ٢٠١٠

إعداد وتصميم:



المحتويات

الموضوع	الصفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية:

الاســـــــــم : ....
المـــهـــنـــة: ....
الـــعـــنـــوان: ....
البريد الإلكتروني : ....
التليـــــفـــــون: ....

جريمة عمرها ١٠٩ عاماً
الإبادة الأرمنية

بقلم: على ثابت صبري

تحل الذكري ١٠٩ على الجريمة التركية فى حق الشعب الأرمنى، والتى حدثت على مرأي ومسمع من المنظومة الدولية آنذاك، لقد كان ٢٤ أبريل ١٩١٥ شاهداً على القتل والتهجير القسري والتطهيري العرقي؛ فى كلمة الإبادة الأرمنية ، والتى راح ضحيتها ما بين مليون ومليون ونصف أرمني على يد الإدارة التركية. صمت المجتمع الدولي ساعتئذ حتى أخلي الأناضول من الجنس الأرمنى، صمت لتحقيق أهدافه فى تطبيق نظرية الدول القومية.

إن الإبادة الأرمنية لم تكن انحرافاً معزولاً، بل يُمكننا فهمها ضمن سياق تاريخي أوسع، لقد كان رد فعل الإدارة التركية بعد ثبوت انهيار الدولة العثمانية عقب هزائم البلقان فى ١٩١٢ – ١٩١٣، حيث فقدت الدولة حوالي ٦٠% من الإقليم الأوروبية ، مما تمخض عنه قناعة تركية مفادها استحالة العيش مع المسيحيين (الأرمن) المتبقين داخل الأناضول، لذا عملت الإدارة التركية على إعادة هيكلة الأناضول إثنياً ، والتى ارتكزت على :

أولاً: صهر المسلمين غير الأتراك مثل الكرد والعرب ضمن الأغلبية التركية.

ثانياً: تفريغ الأناضول من كل الشعوب غير المسلمة وغير التركية (الأرمن– الأشوريين– اليونانيين)، لكن الأرمن



لقد كانت عمليات الإبادة الأرمنية ممنهجه، ولعل ما ذكره الضابط العثماني جركس حسن المفوض إعادة توطين الأرمن المرحلين إلى الصحراء العراقية والسورية، عندما أدرك أن هدف الترحيل هو ليس إعادة التوطين بل الإبادة، استقال قائلاً: " يمكنك المجادلة فيما إذا كانت كلمة قتل مرادفة لكلمة ترحيل أم لا، استخدمها بالطريقة التى تشاء لأن ذلك لم يغير من حقيقة ما حدث على أرض الواقع ... هناك طريقة مرعبة واحدة فقط فى فهم ما حدث، والعالم بأسره على دراية به " .

هناك تساؤل يطرح نفسه بشدة: ما علاقة الإبادة الأرمنية بتأسيس الجمهورية التركية فى ١٩٢٢؟ لقد كانت الحركة القومية التركية الركيزة الأساسية فى تأسيس الجمهورية التركية، تحت قيادة أعضاء من جمعية الاتحاد والترقي الذين أصبحوا فيما بعد

شخصيات محورية فى الحكومة التركية، والذين اعترفوا بشكل علني بأن إنشاء الجمهورية لم يكن لينجح لولا التخلص من الأرمن والقضاء على مطالبهم بحق تقرير المصير فى الأناضول .

أضف أيضاً، فقد وافق أول برلمان للجمهورية التركية على إعلان أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين تمت محاكمتهم عن الجرائم المرتكبة بحق الأرمن كأبطال قوميين ، وفي عام ١٩٢٦ وافق البرلمان على قانون يمنح معاشات تقاعدية وقطع أرض لعائلات الأعضاء السابقين فى جمعية الاتحاد والترقي.

هذا ما يفسر سياسة الإنكار طويلة الأمد التى تتبنها الحكومة التركية تجاه الإبادة الأرمنية والتى أصبحت من المسكوت عنه فى التاريخ التركي المعاصر، نظراً لحساسيتها الشديدة والتى تعيد للأذهان كيف قامت الجمهورية التركية بالأساس؟ وكيف تشكلت البورجوازية التركية والتى اعتمدت فى تكوينها على الأملاك الأرمنية المصادرة أثناء عمليات الترحيل القسري. لأن الاعتراف بالإبادة يحمل تداعيات خطيرة على الإدارة التركية من قبيل التعويضات المادية وإعادة الأراضى، وإن كان مسألة اعادة الأراضى فى ظل النظام القومي تكون مستبعدة إلا التعويضات المالية حقيقة .

لقد مارست الإدارة التركية سياسة المحو خلال المذبح الأرمنية، حيث تم تدمير متعمد للتراث الثقافي والدينيّ والتاريخي للأرمن. فتم تدمير الكنائس والأديرة الأرمنية في حين تحول بعضها إلى مساجد ودمرت المقابر الأرمنية، في العديد من المدن منها على سبيل المثال فان، وهدمت الأحياء السكنية الأرمنية بالكامل. ففي عام ١٩١٤ كان هناك ٢٥٣٨ كنيسة ودير أرمني على كامل تراب الدولة العثمانية، لم يتبقى منها حاليًا سوى ٣٤ كنيسة ودير أرمني. وفي عام ١٩١٤ امتلكت الطائفة الأرمنية ١٩٩٦ مدرسة ، لم يتبقى منها سوى ١٨ مدرسة أرمنية أغلبيتها تتواجد في إسطنبول.

ورغم الاعتراف الدولي الكبير بأن ما حدث للأرمن فى عام ١٩١٥ هو إبادة، إلا أن الإدارة التركية مازالت تمارس سياسة الإنكار طويلة الأمد، ولم تكتفى بما حدث للأجداد ، بل مارست سياستها المعهودة ضد الشعب الأرمني فى ناجورنو كاراباخ (آرتساخ) ، والتى أخليت تماماً من الأرمن فى بداية العام الحالى.

مّر ١٠٩ عاماً ومازالت الجريمة حية، ومازال الجاني يُنكر ويُمارس جرائمه ضد الأرمن بدم بارد، ومازالت الإنسانية صامتة وعاجزة عن نصرة مبادئها ..



سلسال دم الأبرياء من عبد الحميد إلى أردوغان حتى لا ينسي الأحفاد

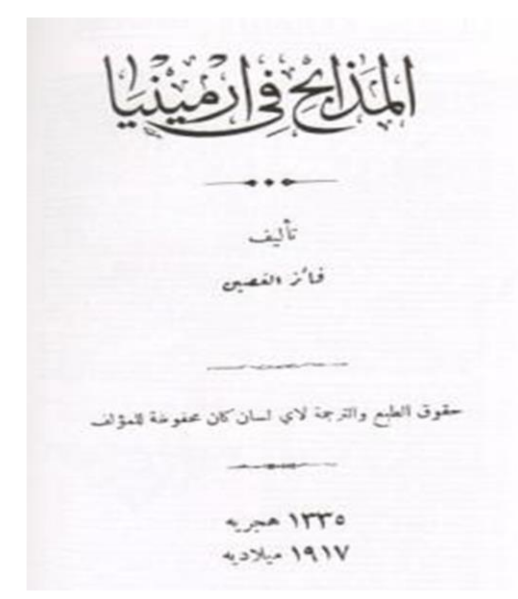


بقلم: أ.د / محمد رفعت الإمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة دمنهور

منذ أن تأسست دولة السلاطين الأتراك وقد اتسمت دولتهم بإراقة الدماء دون النظر إلى العرق أو الدين أو المذهب. وفى مصر ، احتل التركى مكانة سيئة فى وجدان المصريين الذين كانوا يخرجون فى جماعات ويرددون " يا رب يا متجلى اهزم العثمانلى " لأنهم شعروا بأن التركى المتصلف المتعجرف أهان دولتهم وأمتهم العريقة . وحتى السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ – ١٩٠٩) قد أسهم مع الإنجليز والخديوي توفيق (١٨٧٩ – ١٨٩٢) فى ضرب ثورة عرابي التى تُعد أول ثورة مصرية شعبية ودستورية فى التاريخ الحديث.

والسجل الدموي التركى ممتد منذ تأسيس السلطنة وحتى الآن لدرجة أن معظم المنظومة السكانية العثمانية لم تنجو من الاضطهادات والملاحقات والمذابح والإبادات الجماعية . وخلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، اقترف الأتراك إبادات ومذابح جماعية بحق الأرمن والسريان والكلدان والعرب وغيرهم .

مرت الإبادة الأرمنية فى الدولة العثمانية بثلاث مراحل متميزة، وإن كانت متكاملة. الأولى: زمن السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦-١٩٠٨)، والثانية إبان الحكم الاتحادي (١٩٠٩-١٩١٨) والثالثة خلال الحكم الكمالي (١٩١٩-١٩٢٣). ومنذ تركيا الكمالية وحتى تركيا الأردوغانية ، لا تزال الحكومات التركية المتعاقبة


المذابح في أرمينيا
تأليف
فائز الغصين
حقوق الطبع والترجمة لأي لسان كان محفوظة للمؤلف
١٣٣٥ هجريه
١٩١٧ ميلاديه

تستميت فى إنكار جرائمها رغم الاعترافات الدولية بالإبادة الأرمنية .

المذابح الأرمنية

وفيما يخص المرحلة الأولى ، فالثابت تاريخياً أن الأرمن العثمانيين لم يسعوا إلى الانفصال أو الاستقلال عن الدولة العثمانية ، بل طالبوا بإجراء إصلاحات داخلية فى الولايات الأرمنية الست: بيتليس، أرضروم، ڤان، خربوط، سيواس، جزء من ديار بكر فى نطاق بقائهم ضمن رعاياها. وهنا ، أهملت السلطات العثمانية حل المسألة الأرمنية مما حدا بمثقفي الأرمن وزعمائهم بالأستانة إلى مناشدة الروس لتبني مستقبل الأرمن العثمانيين فى مباحثات السلام إثر الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧ – ١٨٧٨. وفعلاً، نجحت المساعي الأرمنية جزئياً، إذ تضمنت معاهدة "سان إستيفانو"

المبرمة في ٣ مارس ١٨٧٨ بين الدولتين الروسية والعثمانية المادة "١٦" الخاصة بمسألة الإصلاحات الأرمنية، وهى نفس المادة التي عُدلت إلى المادة "٦١" من معاهدة برلين المبرمة في ١٣ يولية سنتئذٍ.

وهكذا ، تصاعدت المسألة الأرمنية عقب معاهدة برلين ١٨٧٨ من كونها مشكلة محلية عثمانية إلى كونها قضية دولية. بيد أن مراوغات تركيا العثمانية عن تنفيذ الإصلاحات وانشغال الجماعة الدولية عن متابعة القضية الأرمنية، انزلق بالتوجه الأرمني العام إلى المسار الثوري لحل القضية بعد فشل تسويتها سلمياً.

وبذلك، تبلورت الطاقات الأرمنية فى هيكليات حزبية ثورية سرية وعلنية جيّشت قواها داخلياً وخارجياً لمزاولة ممارستها الدعائية والثورية. هذا، وقد تمخض عن تنامى المد الثوري الأرمنى وانتهاج السلطات العثمانية سياسة قمعية صوبه، اندلاع سلسلة من الاضطرابات والقلاقل والمذابح ضد الأرمن بين عاميّ ١٨٩٤-١٨٩٦ راح ضحيتها عدة آلاف من الأرمن، وهاجرت عدة آلاف أخرى منهم إلى البلاد العربية وروسيا القيصرية والبلقان وأوروبا وأمريكا.

وهكذا، غدت "المذبحة" آلية عثمانية رسمية للتخلص من الأرمن حتى لا يتشبثوا بأراضيهم دون مراعاة لأية شرعية دولية أو إنسانية. ولعل ميوعة الموقف الدولى آنذاك قد يسّر هذه المهمة على النظام العثمانى. ومع هذا، عدّل الأرمن الثوريون استراتيجيتهم وتحالفوا مع جماعة "تركيا الفتاة" بغية إسقاط النظام الحميدي ، وهو ما نجحوا فيه فعلياً إثر انقلاب ٢٤ يولية ١٩٠٨. وبذا، أُسدل الستار على المرحلة الأولى من القضية الأرمنية لتبدأ المرحلة الثانية الأكثر دموية بصعود نجم " تركيا الفتاة" ذات النزعة العنصرية المتطرفة؛ الطورانية.

ففى موازاة الدوامات السياسية التى مرت بها الدولة العثمانية ، مرت فى الوقت ذاته بـ " أزمة معنوية " عميقة. إذ بدأ الارتياب فى التوجهات والأيديولوجيات التقليدية : الإسلامية والتغريبية . ولم تعد المسألة مجرد تنقية اللغة التركية وإيجاد أدب قومى ، بل صارت مسألة عمل فى كافة المجالات التاريخية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية من أجل وحدة جميع الأتراك داخل الدولة وخارجها . وبعبارة أخرى : البحث عن بنية جديدة ومتجانسة للدولة التركية عوضاً عن الدولة العثمانية متعددة الأعراق والمستثمرة والمستغلة والضعيفة .

هذا ، وقد خرجت الدولة العثمانية من الحرب البلقانية (١٩١٢ -١٩١٣) متهدمة ومستنزفة ومحرومة من جزء مهم من مواردها البشرية والمالية . ولهذا ، انكب الاتحاديون على إعادة بنائها ، والبحث عن سُبل جديدة لـ " البقاء " أمام دولتهم . فمنذ ظهور " الاتحادية " على المسرح السياسي ، راهنت على القيم التعبوية . إذ بدأت بامتطاء جواد النزعة العثمانية ؛ ثم تحّولت إلى تمجيد الأمة والإخاء الإسلاميين . وأخيراً ، تحمست بشدة للوحدة القومية لتكون أحد دعامات النجاة النادرة التى يُمكن التشبث بها . وفعلاً ، تم الوصول إلى إجماع واسع حول هذا الهدف تحديداً فى عام ١٩١٤ . بيد أن غير الأتراك لا سيما الأرمن والعرب كانوا منذئذ شبه مستبعدين من هذا الإجماع .

كانت النزعة القومية التركية الكاسحة ذات جناح اقتصادي .

وتجدر الإشارة إلى أن دعاة النظام التركى لم يكتفوا فقط بـ " التشهير " بمساوئ الامتيازات والتغلغل الغربي فى الدولة العثمانية ، بل دعوا إلى تكوين " بورجوازية قومية " تركية قادرة على مراوغة رأس المال الأوروبي الجارف والإمساك بـ " زمام " المصير الاقتصادي للبلاد . هنا ، لابد من أجل تكوين هذه البورجوازية وخلق اقتصاد قومي ؛ الاصطدام بمنافسة " العثمانيين غير الأتراك "، وتحديداً ، المسيحيين الأكثر توجهاً إلى التجارة الخارجية

الأرمن : عماد الاقتصاديات الزراعية والصناعية والتجارية والحرفية بالدولة العثمانية .

الإبادة الأرمنية

تمخض عن فعاليات هذه المرحلة أن صار التخلص من الأرمن ضرورة سياسية للاتحاديين بقدر ما هي اقتصاديه ، وعرقية بقدر ما هي دينية كي تنسجم المنظومة التركية. ولهذا، استغل النظام الاتحادي الحاكم تقهقر جيوشهم على جبهة القوقاز وألقوا لوم الهزيمة على الأرمن؛ إذ استغلوا وجود الأرمن الروس المتطوعين يُقاتلون فى الجيش الروسي واتهموا الأرمن العثمانيين بالخيانة العظمى لأنهم لم يتطوعوا فى جيشهم شأن أقرانهم الروس.

وفى هذا المناخ ، قرر الأتراك الاتحاديون فى فبراير ١٩١٥ إبادة الأرمن بالدولة العثمانية ووقعت مهمة تنفيذها على عواتق الدرك والعصابات والتشكيلات المخصوصة. وفى مارس ١٩١٥ قررت الحكومة العثمانية تدمير مركزيّ المقاومة الأرمنيين الرئيسيين زيتون وڤان.

وفى مساء ٢٤ أبريل ١٩١٥ اعتقلت السلطات التركية أكثر من مائتي أرمنى من النخبة المثقفة بالأستانة واغتالوهم جميعاً. ومنذ مايو أبرقت السلطات العثمانية أوامرها الصريحة إلى الحكام والقادة العسكريين بـ "ترحيل" الأرمن عنوة من وطنهم الأم بحجة حماية المدنيين وحماية القوات المسلحة من خيانة متوقعة من الأرمن الموالين لروسيا. وفعلاً، نفذت الأستانة هذه العملية فى الولايات الأرمنية على مرحلتين : أولاً، قتل كل الرجال الأكفاء، ثم ثانياً، نفى بقية الأرمن. بيد أن النفي لم يكن سوى الفصل الثانى من برنامج الإبادة.

وفى نهاية يولية ١٩١٥ قطع برنامج النفي أشواطاً كبيرة، ولم يعد ثمة أرمن فى تلك الولايات التي كانت أوربا تُطالب الباب العالى دوماً بإجراء الإصلاحات فيها. بيد أن الأتراك الاتحاديين قلقوا من الأرمن قاطني الأناضول وقيليقية. ومن ثم، جاء دورهم منذ نهاية يولية ١٩١٥.

وبذلك نجح الاتحاديون تماماً فى تصفية الأرمن من أراضيهم التاريخية التي قطنوها منذ ما ينيف على ثلاثة آلاف سنة. ويكمن أساس هذه المأساة فى تبنى الأتراك المتعصبين قومية متطرفة، وليس فى خيانة الأرمن كما ادعت السلطات العثمانية. والحقيقة أن التخلص من الأرمن وقضيتهم سيُجنب الحكومة العثمانية التدخلات الأوربية المستمرة وسيُزيل العقبة الرئيسية بين الأتراك العثمانيين والشعوب التركية الأخرى فيما وراء القوقاز وبحر قزوين، ويُمهد السبيل لملكية جديدة أمام أبطال الطورانية. وفى كلمة موجزة: تطورت فكرة التخلص من الأرمن بشكل متواز مع اندفاع تنامى القومية التركية.

وبأفول نجم الأتراك الاتحاديين (١٩١٨) يُسدل الستار على المرحلة الثانية من القضية الأرمنية بعد أن نجحوا فى إنجاز الشطر الأكبر من إبادة الأرمن العثمانيين.

ويبدأ الفصل الثالث والأخير ببزوغ نجم الكماليين الذين تبنوا مشروع إقامة "وطن قومي لا يقبل التجزئة" مما يعنى رفض قيام دولة أرمنية فى شرق الأناضول تضم الولايات الأرمنية الست وقيليقية. ولكى يُقنع الكماليون المجتمع الدولى والأرمن سوياً بجدية نواياهم، صبوا جام غضبهم على قيليقية وراحوا يُطهرونها من الأرمن بهجمات منظمة على المدن والقرى المأهولة بهم تحت بصر فرنسا وسمعها.

وبذلك نجح الاتحاديون تماماً فى تصفية الأرمن من أراضيهم التاريخية التي قطنوها منذ ما ينيف على ثلاثة آلاف سنة. ويكمن أساس هذه المأساة فى تبنى الأتراك المتعصبين قومية متطرفة، وليس فى خيانة الأرمن كما ادعت السلطات العثمانية. والحقيقة أن التخلص من الأرمن وقضيتهم سيُجنب الحكومة العثمانية التدخلات الأوربية المستمرة وسيُزيل العقبة الرئيسية بين الأتراك العثمانيين والشعوب التركية الأخرى فيما وراء القوقاز وبحر قزوين، ويُمهد السبيل لملكية جديدة أمام أبطال الطورانية. وفى كلمة موجزة: تطورت فكرة التخلص من

الأرمن بشكل متواز مع اندفاع تنامى القومية التركية.
وبأفول نجم الأتراك الاتحاديين (١٩١٨) يُسدل الستار على المرحلة الثانية من القضية الأرمنية بعد أن نجحوا فى إنجاز الشطر الأكبر من إبادة الأرمن العثمانيين. ويبدأ الفصل الثالث والأخير ببزوغ نجم الكماليين الذين تبنوا مشروع إقامة "وطن قومي لا يقبل التجزئة" مما يعنى رفض قيام دولة أرمنية فى شرق الأناضول تضم الولايات الأرمنية الست وقيليقية. ولكى يُقنع الكماليون المجتمع الدولى والأرمن سوياً بجدية نواياهم، صبوا جام غضبهم على قيليقية وراحوا يُطهرونها من الأرمن بهجمات منظمة على المدن والقرى المأهولة بهم تحت بصر فرنسا وسمعها .
وأخيراً، أُبرمت معاهدة لوزان في ٢٤ يولية ١٩٢٣ بشكل يتماشى مع أماني الأتراك القوميين. إذ أنها اعترفت لتركيا بحدود مستقرة تستوعب تراقيا الشرقية والأراضي المتنازع عليها فى الأناضول ؛ إقليم أزمير، قيليقية ، ساحل البحر الأسود ، الولايات الشرقية (أرمينية). وانعكس الانتصار المطلق للأتراك بأنه لم ترد فى بنود لوزان النهائية كلمتا "أرمينية" أو "الأرمن"، إنما تضمنت نصوصاً عامة حول ضرورة عدم اضطهاد "الأقليات" غير المسلمة عموماً فى تركيا. وهكذا، أُخليت تركيا من أضخم أقلية غير تركية وترسخت أسس الجمهورية "التركية" بإنجاز مستوى رفيع من التجانس على حساب الأرمن الذين حُكم عليهم إما بالهلاك أو الشتات. وتبعثر الناجون من الأرمن على ظهر البسيطة ليكونوا بمثابة "بصمات الجاني على جسد المجني عليه ."

مصر قبلة اللاجئين والمضطهدين

وإذا كانت تركيا قد ارتكبت مذابح وإبادات بحق رعاياها الأرمن ، ففى المقابل ، نجد مصر فجر الضمير الإنساني تسهم بامتياز فى إنقاذ حيوات الآلاف من الأرمن ، وتتخذ أقوى وأجرأ مواقف تعكس عبقرية زمانها ومكانها رغم تبعيتها الإسمية للدولة العثمانية .

- حتى منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر ، جاء الأرمن إلى مصر مهاجرين فرادى بإرادتهم .
- منذ منتصف تسعينيات القرن التاسع عشر ، جاء الأرمن إلى مصر مهجرين جماعات قسرياً نتيجة المذابح الحميدية والإبادة الاتحادية والحروب الكمالية .
- استقبلت مدينتّا الإسكندرية والقاهرة أكثر من ألفّى لاجئ أرمنى جراء مذابح ١٨٩٤-١٨٩٦ زمن السلطان عبدالحميد الثانى .
- استقبلت مصر بضعة مئات من أرمن أضنة فى عام ١٩٠٩ نتيجة المذابح الاتحادية فى اقليم قيليقية عقب سيطرة جماعة الاتحاد والترقي على الحكم العثمانى .
- تعتبر مذابح الأرمن التي بدأت في ٢٤ أبريل ١٩١٥ علامة فارقة في تاريخ الجالية الأرمنية في مصر التي تلقت أعدادا كبيرة من اللاجئين من المذابح العرقية التي قام بها جيش العثمانيين، فزادت أعدادهم في مصر حتى وصلت ذروتها في فيما يظهره إحصاء ١٩٢٧ من أن عددهم كان ١٨.٨١٧ يتركز أغلبهم في القاهرة و الإسكندرية و تمكن الأرمن من التوافق مع حياتهم الجديدة في مصر إلى حد أن مصر بجاليتها الأرمنية الكبيرة كانت تقود الوجود الأرمني في العالم العربي حتى منتصف القرن العشرين.
- فى سبتمبر ١٩١٥ ، استقبلت مدينة بورسعيد ٤٢٠٠ لاجئ من أرمن منطقة سيڤيديا .
- فى عام ١٩١٧ ، استقبلت بورسعيد أيضاً حوالى ٤٠٠٠ لاجئ من أرمن قيليقية .
- فى عام ١٩٢٤ ، سمحت حكومة الشعب بقيادة زعيم الأمة سعد زغلول بإقامة ٥٠٠ يتيمة أرمنية بمصر .
- وحتى عام ١٩٢٧ ، استقبلت مصر ٨٠٦ يتيمة أرمنية و٣٠٠ يتيم أرمنى .
- وهكذا ،أسهمت مصر بامتياز فى انقاذ آلاف الأرمن من الهلاك والفناء على أيدى السلطات العثمانية والاتحادية والكمالية .

• وفى ٢٤ أبريل ١٩٠٩ ، أصدر الشيخ سليم البشرى (شيخ الجامع الأزهر) فتوى بتحريم قتل مسلمي أضنة للأرمن فى إقليم قيليقية .

• فى بداية عام ١٩١٧ ، صدر بالقاهرة أول كتاب فى العالم عن " المذابح فى أرمينيا " تأليف المحامي السوري فايز الغصين .

• فى عام ١٩٢٣ ، طبعت جريدة المقطم القاهرية الترجمة العربية لمذكرات هنري مورجنتاو السفير الأمريكي بالأستانة أثناء الإبادة الأرمنية .

منذ عام ١٩٢٩ ، حصلت أغلبية أرمن مصر على الجنسية المصرية ، وصاروا مواطنين مصريين فى الحقوق والواجبات

القومية العربية

نجم عن دخول تركيا الحرب العالمية الأولى فى نوفمبر ١٩١٤ عواقب وخيمة على البلاد العربية لاسيما المشرق العربى ، الذى كان خاضعاً بشكل مباشر للسلطة العثمانية . وقد تبوأت سوريا ولبنان وفلسطين والعراق أهمية إستراتيجية لتركيا العثمانية وحليفتها ألمانيا ؛ إذ إنها تُعتبر الظهير الإستراتيجى لهذه الكتلة لتحقيق مخططاتها وأهدافها . وكانت البلاد العربية الأخرى واقعة فى دائرة ونفوذ بريطانيا وفرنسا . تجلى هدف تركيا العثمانية الأكبر فى اتخاذ سوريا ولبنان بمثابة قاعدة عسكرية بغية استرجاع مصر أرض الكنانة من بريطانيا وطردها من المشرق العربى، ثم التغلغل نحو شمال أفريقيا ووسطها . وبعد دخول تركيا الحرب ، أعادت بناء قواتها العسكرية فى سوريا ولبنان وفلسطين ، وأسست الجيش الرابع ومقر أركانه فى دمشق . وقد تولى أحمد جمال باشا القيادة العامة للجيش الرابع ، وهو أحد أضلاع المثلث الاتحادي البارز : أنور ، جمال ، طلعت . وقد شغل جمال باشا منصب وزير البحرية فى تركيا العثمانية.

هيكلت تركيا العثمانية أوضاع بلاد المشرق العربى لاسيما سوريا ولبنان لتلبية واحتياجاتها وكذلك احتياجات حليفتها ألمانيا . ولبلوغ هذه الغاية ، أجرت الإدارة العثمانية تغييرات فى بنية الإدارة وآلية الحكم فى سوريا ولبنان . ففى نهاية ١٩١٤ ، ركزت الإدارة العثمانية جميع السلطات العسكرية والسياسية فى يدىّ جمال باشا . ومن ثم ، غدا حاكم سوريا المطلق بحقوق غير محدَّدة ، وأعلن الأحكام العرفية ، وأدخل كل شيء تحت مراقبة الأتراك العسكريين .

سببت الحرب أوضاعاً اقتصادية قاسية وثقيلة جداً وغير محتملة فى سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ؛ إذ بأوامر مباشرة من جمال باشا ، صودرت المواد الغذائية والمنتجات الزراعية وعلف الحيوانات لصالح القوات العسكرية التركية وحليفتها ألمانيا . وبأوامر رسمية من القيادة التركية ، قُطعت الأشجار المختلفة من أجل استخدامها كوقود . وبذلك ، ارتكبت تركيا العثمانية إبادة بيئية فى سوريا ولبنان زمن الحرب العالمية الأولى .

نتج عن هذه الأوضاع وتلك الظروف : تراجع الزراعة والإنتاجية ، ارتفاع أسعار السلع بشكل جنونى . وقد زاد الطين بلة انتشار الأمراض والأوبئة التى حصدت أرواح مئات الآلاف من المشرق العربى : ثلث سكان سوريا، و ١٠٠ ألف فى لبنان ، عشرات الآلاف فى فلسطين ،عشرات الآلاف فى العراق .

تجاوزت أعمال السخرة وتشغيل السكان بالقوة معدلاتها بشكل كبير جداً ؛ إذ كانت السلطات التركية تفرض عليهم أقسى وأعنف الإنشاءات العسكرية . وعلى هذا النحو ، شهد المشرق العربى لاسيما سوريا ولبنان انهياراً اقتصادياً كارثياً .ولم يقف العرب مكتوفي الأيدي أمام هذه الأزمات ، وتدريجياً تصاعد غضبهم واستياؤهم حتى انفجر فى نهاية المطاف .وفى الجيش التركى الرابع ، هرب الجنود والضباط العرب الذين قبلوا على مضض التجنيد بالقوة فى الجيش التركى .

انتفض أهالي سوريا ولبنان وفلسطين جراء سياسة جمال باشا المستبدة وأحوال البلاد القاسية مطالبين فقط: الخبز والسلام . وقد تحولت الانتفاضات إلى عصيان مسلح : فى جبل الدروز ١٩١٦ - أحد أبرز مراكز الثورة العربية ، الشمال اللبنانى ، محافظة دمشق . ومن بلاد الشام إلى بلاد الرافدين : تطايرت حمى الانتفاضات إلى مدينتي النجف وكربلاء الشيعيتين . هنا ، علاوة على مآسي الحرب وكوارثها ، نظر الأتراك السنة إلى العرب الشيعة من أعلى معتبرين إياهم " مسلمين غير حقيقيين "، ومن المفارقات ، رغم إن سوريا كانت قاعدة رئيسية للهجوم على مصر ، فإن العرب على امتداد المشرق لم يكونوا ظهيراً شعبياً داعماً للقوات التركية . وانهزم الجيش التركى ، وتقهقر إلى فلسطين وسوريا ، وغيَّرت القيادة تكتيكاتها ، واعتمدت فى عملياتها العسكرية على أبناء العشائر البدوية . بيد أن هذه العشائر لم تُقاتل بشكل جدَّى فى ميدان المعركة ، ولذا ، لم تتحقق آمال الأتراك الذين كانوا يعتقدون أن البدو سينالون دعم فلاحي مصر .

وخلاصة القول ،أظهر المحيط العربى عداءً سافراً إزاء الأتراك زمن الحرب العالمية الأولى . واقتنع بأنهم لن يتمكنوا من توظيف العرب فى خدمة مآربهم السياسية .

المشانق التركية

ولم يقف أهالي المشرق العربى بجوار الأتراك فى حربهم المقدسة (الجهاد) . واقتنع الأتراك بأن معظم العرب يأملون نصر دول الوفاق (الحلفاء) على كتلة الوسط . واعتقدت النُخب السياسية والثقافية العربية بأن انتصار الوفاق سيجلب لهم الحرية من النير التركى الرابض على الصدر العربى منذ أربعة قرون .

ورغم الهزائم التركية على جبهة الشام ، فقد تشبثت القيادات التركية بسياستها الرامية إلى تتريك العرب والأرمن والأكراد وغيرهم من منظومة الأعراق فى السلطنة العثمانية . وفى المقابل ، استماتت المثقفون والسياسيون العرب فى تكريس الهوية العربية والمطالبة بالاستقلال عن دولة الأتراك وخلق كيان أو كيانات عربية. وهكذا لاحت فى الأفق بوادر أزمة تركية عربية أكثر حدة عن سابقاتها .

أدرك جمال باشا — حاكم سوريا المستبد — هذه الأزمة بوضوح شديد . وكان على علم تام بأن التنظيمات العربية القومية — المحظورة رسمياً من السلطات العثمانية — لا تزال تُمارس أنشطتها سراً ، وتُوجه الجماهير العربية فى حلبة الصراع الدائر مع الأتراك . فى هذا المعترك ، نشط زعماء حزب اللامركزية لاسيما بعد أن فاقوا من وهم تطبيق مبدأ اللامركزية فى الدولة العثمانية ، ومنح الولايات العربية حكماً إدارياً ذاتياً. وقد أعاد اللامركزيون العرب تجديد طموحهم رافعين السقف من حكم ذاتى إلى انفصال واستقلال تام وبلا رجعة لسوريا ولبنان وفلسطين والعراق وغيرها .

قرَّر جمال باشا عدم الانتظار وتوجيه ضربة استباقية قاضية لحركة الاستقلال العربية والداعين لها وأنصارها ، بغرض إبقاء الولايات العربية تحت السيطرة التركية .وقد اتسم جمال باشا بتجارب كبيرة فى استخدام السيف والاحمر القاني (الدم) لمجابهة معارضيه ومن يعتبرهم خصومه .

فى كلمة : قام جمال باشا السفاح — صاحب السجل الدموي — بمعاقبة القوميين العرب بمنهجه الإجرامي وخبرته الواسعة فيه .وقد فتح السفاح أبواب السجون ودروب النفي . وألقى عشرات الآلاف فى السجون والمعتقلات ، وأرسل آلاف آخرين إلى المنافي ، إلى أقصى بل أقاصي الأناضول .... أطفال ، نساء ، شيوخ .

ومن المفارقات سارت عمليات تهجير الأرمن من الأناضول الشرقي إلى ولاية حلب العربية. وعلى دروب التهجير ، تجرَّع الأرمن كؤوس العذاب والاضطهاد حتى الموت .وعلى الطريق المعاكس ، سارت عمليات تهجير العرب من سوريا ولبنان وسائر المشرق إلى الأناضول.

وعلى ذات الدروب ، تجَّرع العرب ما تجرَّعه الأرمن على أياد الأتراك والچراكسة والأكراد وغيرهم .

وضع جمال باشا مراقبة صارمة على النُخب العربية سواء كانوا ساسة أو مفكرين أو حتى ضباطاً فى الجيش التركى . وبأوامر مباشرة ، أغلق جمال باشا جميع المنظمات والجمعيات والأندية التى كانت لاتزال تُمارس أنشطتها آنذاك .

وبحركة سريعة ، اعتقل جمال باشا الزعامات والقيادات العربية التى بزغت فى الإمبراطورية العثمانية منذ نجاح حركة الجيش العثمانى فى الاستحواذ على السلطة ونقلها إلى حركة تركيا الفتاة ١٩٠٨ ،وأسس جمال باشا محكمة عسكرية فى عاليه بلبنان ، وأصدرت أحكامها غالباً بناءً على تعليمات من الباشا السفاح ، وأحياناً بناءً على أوامر من الأستانة .

تُمثل الأحكام العسكرية التى صدرت ضد النخبة العربية قمة الإجرام التركى ضد العرب ؛ إذ كان من هؤلاء أبرز الوطنيين والمثقفين والبرلمانيين والعسكريين والحزبيين . ومن المفارقات ، أصدرت هذه المحاكم أحكامها بالشنق بسرعة مذهلة . ففى أغسطس ١٩١٥ ، شُنق العشر الأوائل من القوميين العرب فى ساحة البرج ببيروت . وفى ٦ مايو ١٩١٦، شُنقت سباعية منهم فى دمشق . وفى نفس اليوم ، ٦ مايو ، شُنق آخرون فى ساحة البرج ببيروت .

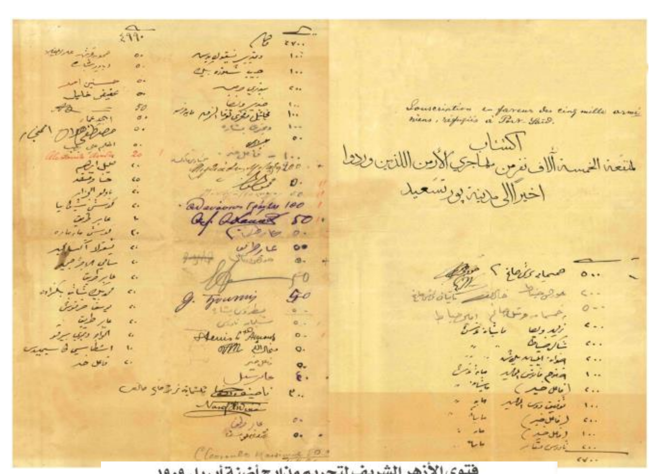
وجهَّت المحاكم تهماً مفبركة وهزلية إلى القوميين العرب من قبيل : الخيانة العظمى ، الإعداد لثورة ، عدم القيام بالواجب إزاء الوطن . وهكذا أصبح النضال من أجل تحرير الوطن العربى من المحتل التركى : جريمة ، بل خيانة عظمى .

بلغ حصاد إعدام القوميين العرب " ٨٠٠ " شخصية . وبلغ حصاد العائلات العربية المنفية صوب الأناضول عدة الآلاف . وعلى هذا التوصيف ، ارتكب الأتراك المشرق العربى .

ورغم نجاح الأتراك فى إبادة النخبة العربية ، فإنهم فشلوا فشلاً ذريعاً فى إبادة الهوية العربية ؛ إذ رغم هذه الضربات الموجعات الأليمات ، فقد تعززت الفكرة العربية وتدعمت الهوية العربية . وقد منحت جرائمهم طاقة جديدة لمشاعر العرب المناهضة لهم فسعت بقوة للإطاحة بالهيمنة التركية .

وثمة بديهية مؤداها أن الأتراك القوميين اعتبروا الحرب العالمية الأولى بمثابة " الساعة المناسبة " لإنهاء حركتين قوميتين هما :القومية العربية فى سوريا ولبنان وسائر المشرق العربى ،القومية الأرمنية فى الأناضول الشرقى.

خلاصة القول : احتل الأتراك مكانة سلبية وسيئة للغاية ليس فى الذاكرة العربية فقط ، ولكن فى مجمل الذاكرة الإنسانية .وظل اسم جمال باشا السفاح رمزاً للإجرام عند العرب ، كما أن طلعت وأنور رمزاً له عند الأرمن . ولا زال سلسال الدم التركى مستمراً حتى الآن .


Souscription en faveur des cinq mille arméniens réfugiés à Port-Saïd.

اكتتاب

لمنفعة الخمسة آلاف نفس من مهاجري الأرمن اللاجئين ووصلوا اخيراً الى مدينة بورسعيد

فتوى الأزهر الشريف لتحريم مذابح أضنة أبريل ١٩٠٩

رؤية الصحافة المصرية للمذابح الأرمنية في الدولة العثمانية ١٨٩٤م-١٨٩٦م



بقلم: د. هشام إبراهيم علي

اتجاهات الصحافة المصرية:

شهدت مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطوراً سياسياً وفكرياً ملحوظاً ، والذي جاء متمثلاً في ظهور بعض المؤسسات السياسية التي لم تكن موجودة من قبل مثل مجلس شورى النواب الذي أنشئ في نوفمبر ١٨٦٦م ، حيث كان يعني ظهور تلك المؤسسات وجود قوى سياسية أخرى في المجتمع بجانب الخديوي ، وما صاحب هذا من ازدياد الوعي في المجتمع ومن ثَمَّ بدأ ينشأ ما يسمى بالرأي العام نتيجة لظهور فئة من المثقفين أمثال : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم.

ومن هذا المنطلق ونتيجة لتطور نظام الحكم في عهد الخديوي اسماعيل الذي سعى لتأسيس دولة عصرية في مصر على درب جده محمد علي ، وفى سبيل هذا نجح في استصدار عدة فرمانات من السلطان العثماني عبد العزيز مُنح بموجبها بعضاً من الحرية لإدارة شئون البلاد بشكل منفصل عن الدولة العثمانية ، الأمر الذي أكد على استقلال مصر ولكن في ظل سيادة تبدو اسمية فقط من قِبل الدولة العثمانية.

وفى هذا الصدد شجع الخديوي اسماعيل المثقفين من المصريين واللبنانيين الوافدين إلى مصر على إنشاء الصحف والمجلات بهدف ظهور صحافة تضاهي صحافة الغرب لمتابعة نشاط مجلس شورى النواب وأعمال الحكومة وأحوال الناس ، فظهرت في عهده ما يعرف بالصحافة الشعبية .



الملامح العامة للأرمن داخل الدولة العثمانية:

اتسمت المنطقة التي عرفت تاريخياً بأرمينيا القديمة بمساحة واسعة ، حيث جاء على حدودها الشمالية سلسلة جبال القوقاز ، وبحر قزوين من الجانب الشمالي الشرقي، بينما البحر الأسود من الشمال الغربي على حدودها الغربية ، وإن شملت أرمينيا القديمة في الوقت الراهن معظم شرقي تركيا والجزء الشمالي الشرقي من إيران، مع بعض أجزاء من جمهورية جورجيا وأيضاً جمهورية أذربيجان ، علاوة على جمهورية أرمينيا بشكل كامل.

بدا من هذا المنطلق أن موقع أرمينيا الجغرافي قد جعلها بمثابة واحدة من القلاع الطبيعية التي أسالت لعاب الغزاة مراراً مما حولها إلى حلبة صراع عبر التاريخ بين سائر الإمبراطوريات المتنافسة كنتيجة مباشرة لموقعها الجغرافي والاستراتيجي على مفترق طرق التجارة وكذا الطرق العسكرية بين قارتي آسيا وأوروبا. من المرجح أن تواصل

الأرمن مع العالم الخارجي المتقدم قد انعكس إيجابياً على الكثير من جوانب حياتهم من قبيل تحسن أوضاعهم الاقتصادية وزيادة الوعي الثقافي والفكري لديهم .

وقد تباينت الآراء حول الأصول التي يعود إليها الأرمن ، ولكن أرجحها يجزم بأن النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد قد شهد تحول معه المنطقة التي عرفت بأرمينيا إلي موطناً لعدد من عناصر السكان تمايزت جذورهم العرقية وانقسموا بشكل أساسي لمجموعتين ، أولهما سكان المنطقة الأصليين من ذوي الأصل القوقازي الأرمني والذين أقاموا مملكة أورارتو، بينما تشكلت المجموعة الثانية من نازحي البلقان الذين تكونوا من قبائل ذات أصول هندو أوروبية .

ورغم هذا كان الأرمن من أقل العناصر المختلطة حول العالم ، وهذا قد يعود مرجعه لعزلة أرمينيا جغرافياً عن العالم الخارجي بحدود طبيعية تبدو صارمة ، فضلاً عن أن عملية تزاوج الأرمن لم تكن تخرج كثيراً عن نطاق مجتمعهم ، خاصة مع انعزالهم فى كثير من المسائل الدينية. ومع بدايات القرن الرابع الميلادي كان لأرمينيا السبق فى إقرار الديانة المسيحية ديانة رسمية لها ، فصارت الدولة الأقدم التي تبادر باتخاذ تلك الخطوة ، والتي جاءت على إثر اعتناق الملك ديرتاد الثالث المسيحية بواسطة القديس كريكور المنِّور.

قد برحت أرمينيا في معظم فترات تاريخها رهينة القوة الأكبر التي تبسط سيطرتها على المنطقة ، بما فرض علي الأرمن وضع الاستنفار بشكل مستمر حفاظاً على هويتهم ودينهم وعادتهم وتقاليدهم ، ومن ثَمَّ حرمتهم تلك الصراعات من الاتحاد واقامة دولة مستقلة خاصة في ظل الظروف السياسية والاقتصادية والجغرافية ، الأمر الذي دفع عدداً كبيراً من الأرمن من حين لآخر للرحيل عن أرمينيا وتشكيل مجتمعات متفرقة في سائر بقاع العالم .

والفارسية تم تقسم أرمينية بينهما ، فسميت أرمينيا العثمانية بأرمينيا الغربية حيث ضمت ست ولايات وهي فان وأضروم وخربوط وبتليس وسيواس وجزء من ديار بكر إضافة إلى قيليقية بينما أطلق علي أرمينيا الشرقية والتي شملت المنطقة الممتدة حول الضفتين الشرقية والغربية لنهر آراكس وبها مدن حول ضفتيه الغربية والشرقية وبها مدن ناخشيفان واتشميادزين ويريفان .

مذابح ساسون ١٨٩٤م وتداعياتها:

شهد عام ١٨٨٩م بداية مذابح الأرمن من خلال ما ارتكبه الأكراد من اعتداءات ضدهم في الولايات الأرمنية الست ، بل استمر مسلسل حوادث الإرهاب التي استهدفتهم حتى طالت العاصمة الأستانة ذاتها فى عام ١٨٩٠م .

وبناءً على ذلك وعلى وقع تراجع الدور الأوروبي تجاه الأرمن والذي صاحبه مماطلة السلطان عبدالحميد في تنفيذ الإصلاحات التي جاءت بها المادة (٦١) من معاهدة برلين ، علاوة على قيامه بعمليات توطين للأكراد في الولايات الأرمنية، فقد اندفع ثوار الأرمن للقيام بمظاهرات ضد الحكومة العثمانية مثلما شهدته أرضروم في ١٨٩٠م، وتوالت بعدها انتفاضات الأرمن التي خلفت وراءها كثيراً من الضحايا .

ومنذ منتصف أغسطس حتى منتصف سبتمبر ١٨٩٤م شهدت ساسون بولاية بيتليس مذبحة أرمنية مروعة على أيدي الفرق الحميدية ، والتي أرسلها السلطان عبدالحميد بأعداد كبيرة لتأديب أرمن ساسون لتقاعسهم عن سداد المستحقات الضريبية لشهر يونيو ١٨٩٤م ، ثم دخولهم فى حالة من العصيان ، إلا أن الفرق الحميدية فرضت كلمتها عبر المجازر التي اقترفتها وراح ضحيتها أعداد كبيرة من الأرمن ما بين قتيل وجريح.

وقد انقسمت الصحافة المصرية على ضوء المذابح

التي تعرض لها الأرمن خلال فترة الدراسة ما بين عامي ١٨٩٤م حتى ١٨٩٦م إلى فريقين الداعم والمساند منها للأرمن على إثر ما يواجهونه من مذابح واضطهاد، بينما اتخذ الفريق الآخر جانب الدولة العثمانية مع تحميل تبعات ما تشهده ربوع الولايات الأرمنية من اضطرابات داخل الدولة على عاتق الأرمن .

وجاءت جريدة المقطم لسان حال الاحتلال البريطاني فى مصر في مقدمة الصحف الداعمة للأرمن والتي تبنت الحكومة البريطانية قضيتهم ، ومن هذا المنطلق أفردت الجريدة صفحاتها عقب الاضطرابات التي شهدتها ساسون للمتابعة والتعليق على تلك الأحداث ، مشيرة إلى ما تناولته جريدتي تايمز البريطانية و لوفيجارو الفرنسية بشأن مذكرة الجمعية الأرمنية الوطنية فى لندن إلى وزارة الخارجية البريطانية حول ما دار فى ساسون من أحداث عنف أودت بحياة عدد كبير من الأرمن وصل عددهم على حسب ما أوردته المذكرة إلى قرابة الستة آلاف وتدمير ثلاثين قرية، مُحملة فيه فرق الأمن العثمانية المسئولية عن تلك الأحداث رغم ما تردده الحكومة العثمانية من تكذيب لهذه الاتهامات ، الأمر الذي ينبغي معه تدخل الحكومة البريطانية لمحاسبة المتورط فى تلك الأحداث وحقن الدماء الأرمنية.

وفى محاولة منها لإبعاد اتهام تحيزها للأرمن نشرت جريدة المقطم البيان الصادر عن الحكومة العثمانية حول أحداث ساسون والتي أوضحت فيه أن جنود الأمن العثماني وصلوا إلى ساسون لبسط الأمن فى ربوعها ، وذلك رداً على ما ارتكبه الأرمن من أحداث عنف ، وهو ما تمكن الأمن العثماني من تحقيقه ، وأن الحكومة العثمانية من منطلق رغبتها فى الكشف عن الحقيقة فقد شكلت لجنة للوقوف على مضمون ما حدث.

وفى سياق متصل استعرضت جريدة المقطم أيضاً ما تداولته الصحافة فى الآستانة بشأن أحداث ساسون والتي تنفي فيها أية مسئولية للأمن العثماني عن هذه الأحداث بل ألصقتها بجماعة من الأرمن وصفتهم بأنهم مجموعة من اللصوص عاثوا فى الأرض فساداً ، إلا أن الجريدة لم يفوتها أن تؤكد أن تناولها لوجهة النظر العثمانية جاءت من منطلق حرصها على تناول وجهة نظر الجانب الآخر ، ولكن هذا لا ينفي عن الصحافة العثمانية الأقوال المرسلة التي أوردتها وتعد بشكل واضح بعيدة عن كبد الحقيقة خاصة بعد تقدير الجريدة لحصيلة الضحايا بخمسة عشر ألف أرمني وذلك وفقاً لما ذكرته جريدة التان الفرنسية بشأن اضطرابات ساسون .

وعلى الجانب المقابل الداعم للدولة العثمانية هاجمت جريدة الفلاح بريطانيا لاحتضان عاصمتها لندن جمعية للأرمن تبث من خلالها سموم العصيان للأرمن ضد الدولة العثمانية مع اختلاق جرائدها لعدد من الأكاذيب حول تعرض الأرمن للاضطهاد داخل الدولة العثمانية ، كل ذلك كي تغطي على تعديها على حقوق الدولة العثمانية صاحبة السيادة فى مصر وتتمكن من الخروج من هذا المأزق.

وفى نفس السياق التقطت جريدة المؤيد طرف الخيط وواصلت الهجوم على بريطانيا متهمة بعض أعضاء البرلمان البريطاني بإثارة الحكومات الأوروبية ضد الدولة العثمانية ، الأمر الذي ولد الاستغراب لدى سلطان الدولة عبدالحميد الثاني خاصة مع مواقفه السابقة مع بريطانيا التي لا يبدو منها سوى المودة والاحترام .

واستمر هجوم جريدة المؤيد على بريطانيا ناقلة جانب المشكلة إلى حالة الصراع البريطاني الروسي ، واصفة بريطانيا بأنها بمعزل عن أوروبا لمناصبتها العداء مع سائر الحكومات الأوروبية ، بل أن روسيا دفعت بتسعة عشر ألف جندي من جنودها على حدود الولايات التي يقطنها الأرمن خشية توغل بريطانيا فى تدخلها بشأن الأرمن ،وهو ما وقفت منه بريطانيا صامتة طمعاً فى عقد

اتفاق مع روسيا بشأن الأرمن تتفرع من خلاله مصالح تمس بريطانيا ، ولكن يبدو أن الحكومة البريطانية قد تناست تنازعها النفوذ فى آسيا مع الدولة الروسية والذي لا يبطله عهد ويصعب عبره الوصول لقاسم مشترك بينهما خاصة وأن ذلك يأتي فى ظل سوء نية واضح من جانب الحكومة البريطانية التي سمحت بقيام فرع لجمعية الأرمن بمصر ، ولكنه من المؤكد سيكون له مردود سيئ على بريطانيا لما يكنه الشعب المصري من تقدير وإعزاز للسلطان العثماني والخلافة الإسلامية ، بل أن أصحاب صوت العقل من الأرمن والذين يمثلون السواد الأعظم منهم لديهم نفس الشعور ولا يبغون سوى العيش في كنف الدولة العثمانية .

وعلى ذات الجانب شككت جريدة المحروسة في مصداقية الأنباء التي تواردت حول أحداث ساسون بأنها يشوبها كثيراً من المبالغة والتهويل بدليل انتداب الحكومة العثمانية للجنة على درجة عالية من النزاهة والكفاءة لتحري تلك الأحداث .

المذابح فى الولايات الأرمنية ١٨٩٥م:

وعلى إثر فشل التحقيقات حول مذابح ساسون فى التوصل لنتائج ملموسة ، وكذلك تواصل المذابح الأرمنية ، فقد بادرت بريطانيا ومعها فرنسا وروسيا بتقديم مذكرة مشتركة للحكومة العثمانية فى الحادي عشر من مايو ١٨٩٥ م، تضمنت مطالبة الباب العالي بإجراءات محددة فى الولايات الأرمنية تبدأ بتعيين مفتش عام لها ، وأن توضع ضمانات واضحة لاختيار الولاة المكلفين بتنفيذ تلك الإصلاحات، مع إعادة الأرمن المهاجرين أو الذين أبعدوا عن ديارهم إلى بلادهم وتعويضهم عن ذلك، على أن يتم حل الفرق الحميدية ، إلا أنه فى نهاية الأمر لم ترى تلك الإصلاحات النور نتيجة لمماطلة وتسويف الحكومة العثمانية .

وقد أعلنت مجلة السرور– أحد أصوات الدولة العثمانية – انتهاء لجنة التحقيق بشأن أحداث ساسون إلى نظافة يد جنود الدولة العثمانية من دم الأرمن وأن الأمر لم يكن سوى حالة من الاحتقان المتبادل بين الأرمن والأكراد تدخلت على إثرها الجنود العثمانية لنزع فتيله ، بينما الحكومة البريطانية وصحفها حاولتا قلب الحقائق ، ومع هذا جاء تقرير اللجنة على عكس هوى حكومة بريطانيا مُوصياً فقط بوجوب إدخال بعض الإصلاحات لدى الولايات الأرمنية كأن تندمج ولايات بتليس ووان وأرضروم في ولاية واحدة ، على أن يتولى أمرها والى مسلم لأقلية المسيحيين بالنسبة للمسلمين في تلك الولايات .

وكشفت جريدة المؤيد أن مشروع الإصلاحات الذي أعدته الحكومات الأوروبية وتشرع في تقديمه للباب العالي قد خلى تماماً من ثمة إشارة لمذابح شاع وقوعها في ساسون بما يجزم أنهم قد بنوا مشروع تلك الإصلاحات كنتيجة لما توصل إليه مندوبيهم بلجنة التحقيق، الأمر الذي يوضح حقيقة دامغة أكدتها الحكومة العثمانية مسبقاً حول ضلوع الأرمن ومن خلفهم بريطانيا في مسئولية ما حدث من اضطرابات فى ساسون .

وفى سياق متصل نشرت جريدتي الفلاح و الأهرام نص الإصلاحات التي حوتها مذكرة الدول الأوروبية للباب العالي بشأن الأرمن فى الحادي عشر من مايو ١٨٩٥م مع تأكيدهما أن الأرمن لا يلتمسون سوى الإصلاح فقط تحت ظلال ورعاية الدولة العثمانية التي يعيشون فى كنفها على الوجه الأكمل منذ ما يزيد عن الخمسمائة عام.

واتفقت جريدة الأهرام ومعها جريدة المؤيد فى التأكيد على توافر الرغبة والإرادة القوية لدى السلطان عبدالحميد لتنفيذ تلك الإصلاحات بعد دراستها دراسة وافية كضرورة من ضروريات العصر، على أن تشملها سائر الولايات العثمانية وليس ولايات بعينها كالولايات التي يقطنها الأرمن كي يسود العدل كامل السلطنة شريطة ألا يفضي هذا إلى استقلال فئة بعينها عن الدولة العثمانية التي لن تسمح بأية مراقبة أجنبية على أي جزء من أراضيها ، وذلك في إظهار من الدولة العثمانية على حسن نواياها ورغبتها الصادقة في الإصلاح ، وهو ما يفوت الفرصة على القوى الخارجية كبريطانيا للتدخل في الشأن الداخلي للدولة العثمانية .

وعلى الجانب المقابل أوضحت جريدة المشير أن الدولة العثمانية تغط في حالة من الارتباك عقب خروج تقرير

مندوبي الدول الأوروبية بلجنة التحقيق والذي قرر صحة الوقائع المنسوبة للأمن العثماني حول مذابح الأرمن الأمر الذي استتبعه تقديم الحكومات الأوروبية إلى الباب العالي لائحة بالإصلاحات الواجب إدخالها على الولايات الأرمنية ، بما أفضى ذلك إلى سقوط الوزارة العثمانية وتولي الصدر الأعظم سعيد باشا خلفاً لجواد باشا ، وهو ما يوحي أن الحكومة العثمانية إزاء تلك الضغوط قد اذعنت بالموافقة على تلك الإصلاحات مع اعتراضها على تعيين مراقبة دولية خشية توسعها لتشمل سائر السلطنة العثمانية ، إلا أن الحكومات الأوروبية لديها يقين من كذب ادعاءات الحكومة العثمانية وتنصلها من تعهداتها .

المذابح فى الآستانة ١٨٩٦م:

وعقب فترة من الهدوء الحذر بين الجانبين شهدت الآستانة مع نهاية أغسطس ١٨٩٦م مذبحة دموية كبيرة على إثر قيام عدد من أعضاء اللجان الثورية لحزب الطاشناق فى السادس والعشرين من أغسطس ١٨٩٦م – والذين كانوا مسلحين بالمتفجرات – باحتلال البنك العثماني واحتجاز مائة وخمسين رهينة وذلك عقب إقالة الحكومة العثمانية لبطريرك الأرمن أزمير ليان ، حيث أعلنوا أن هدفهم من هذا توجيه رسالة قوية للحكومات الأوروبية بغرض التدخل بشكل إيجابي للضغط على الحكومة العثمانية كي تشرع فى تنفيذ الإصلاحات الخاصة بالأرمن ، خاصة في ظل جمود موقفها إزاء هذا حتى انتهى الأمر بإقالة بطريركهم ذاته.

وقد منح هؤلاء الأرمن الحكومة العثمانية مهلة لمدة يومين لتنفيذ مطالبهم ، إلا أن ماكسيموف السفير الروسي فى الآستانة تمكن من عقد تسوية بين محتلي البنك والحكومة العثمانية التي فشلت قوات أمنها فى استرداد البنك ، وذلك بأن يغادر محتلي البنك البلاد دون التعرض لهم فور إخلاءهم البنك ، مع الوعد من قِبل الحكومات الأوروبية بالتدخل لحل المشكلة الأرمنية .

وعند مغادرة الأرمن البنك جرت عمليات قتل واسعة فى صفوفهم وكذلك سلب لممتلكاتهم في شوارع وأحياء الآستانة من قِبل قوات الأمن السرية العثمانية على مدار يومي السابع والعشرين والثامن والعشرين من أغسطس ١٨٩٦م، والتي يبدو أن حكومتها كانت على علم مُسبق بخطة الأرمن لمهاجمة البنك ولكنها لم تسع جاهدة لإجهاضها حتى تتخذها ذريعة بعد ذلك للإجهاز على الأرمن ، الذين لم تتوقف المذابح ضدهم إلا عندما وصل لمسامع الباب العالي تحرك الأسطول البريطاني لحماية رعايا دولته .وقد اعترفت جريدة المحروسة على الرغم من ميولها العثمانية بحدوث مذبحة وذلك على وقع بشاعتها ، كاشفة عن مصرع قرابة الألفي أرمني ووجود أعداد هائلة من المصابين جراء اقتحام عدد منهم البنك العثماني بالآستانة احتجاجاً على إقالة الحكومة العثمانية لبطريركهم أزميرليان والذي كان وقوداً لإشعال نفوسهم المحبطة ، حيث دارت معركة عنيفة مع الأمن خلفت هذا العدد من الضحايا .

هذا وقد عادت جريدة لسان العرب وأشارت لارتفاع حصيلة قتلى الأرمن إلى ما يتجاوز الخمسة آلاف ، موضحة أن هذا الحدث الضخم قد خيم بأجوائه الحزينة على احتفالات الآستانة بعيد جلوس السلطان على عرشه ، من حيث مقاطعة السفراء الأجانب لتلك الاحتفالات في سابقة تبدو هي الأولى من نوعها ، ثم صوبت أصابع اتهامها بالضلوع في المسئولية عن هذه الأحداث إلى فرق الأمن الحميدية.

وعلى نفس الصعيد انتقدت جريدة لسان العرب الصمت الذي خيم على أوروبا وكذا استمرار سياسة حكوماتها فى عدم اتخاذ خطوات جدية إزاء الجرائم المتكررة في حق الأرمن وأخرها تلك الجريمة التي أودت بحياة خمسة آلاف منهم ، ومع ذلك لم تتحرك مشاعر حكامها نحو القيام بإجراءات كفيلة بحفظ حقوق الأرمن لدى الدولة العثمانية ، فالاكتفاء بتقديم مذكرة عند كل مذبحة كنوع من إثبات المواقف لن يؤتي بأية ثمار .

وفى ذات السياق اتهمت جريدة المشير السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بإعطاء الضوء الأخضر لجنوده من الفرق الحميدية للإجهاز على الأرمن لكسر شوكتهم وحصد أكبر عدد منهم ، فبشاعة المذبحة ما كان لها أن تحدث بهذا الشكل دون أخذ الأمن العثماني تعليمات واضحة بذلك.



حوار مع الفنانة المصرية الأرمنية أنوشكا

أجرى الحوار: عطا درغام

وُلدت المبدعة قرتانوس جاربيس سليم فى عام ١٩٦٠، و" أنوشكا " هو الاسم الذي أرادت لها والدتها أن تُسمى به ومعناه الشئ الحلو المسكر. ولدت في حي مصر الجديدة لأبوين مصريين من جذور أرمنية، وكان والدها يعمل بالصناعة، والتحقت بمدرسة كالوسديان الأرمنية ، ودرست السكرتارية وإدارة الأعمال بالجامعة الأمريكية. عملت فور تخرجها في شركة استثمار أجنبية ، ثم عملت كمطربة إعلانات في شركة طارق نور. بدأت احتراف الغناء من خلال مسابقة عالمية تنظمها "الفيدوف العالمية"، المسئولة عن تنظيم ورعاية مهرجانات الغناء الدولية، وانضمت لها بأغنية فرنسية حصدت المركز الأول، ثم عادت لمصر واعتمدتها الإذاعة المصرية بعدها، وقدمت طوال مشوارها الغنائي٦ ألبومات. رشحتها وزارة الشباب والرياضة للاشتراك بمهرجان الفرانكفونية في فرنسا، وحصلت بجدارة على الجائزة الأولى عن أغنية "يا حبيبي" وهى من تلحينها، وأغنية "يا ليل" وكلاهما باللغة الفرنسية ، ونجحت أغنية "ياليل" بعد تعريبها. وشاركت محمد منير في دويتو غنائي للأغنية الوطنية " إنتى بلاد طيبة". وكانت أغنية "لحظة لقا" من أوائل الأغاني التي قدمتها أنوشكا وهى حالة رومانسية مُميزة كتبت كلماتها ولحنتها وغنتها أنوشكا. وهى أغنية جمعت بين اللغة العربية واللغة الفرنسية وهى إحدى اللغات التي تُجيدها



أول ألبوم لأنوشكا كان بعنوان "حبيتك" ١٩٨٨، ونالت بأغنيتها "حبيتك" جائزة المركز الثالث في مهرجان تركيا للأغنية ،وحصدت المركز الأول بمهرجان الفرانكفونية عن أغنيتي " يا حبيبي" و" ياليل" بالفرنسية، والألبوم الثاني"نداني" ١٩٨٩، ثم " تيجي نغني" عام ١٩٩٠ ، و" أبين زين" عام ١٩٩٢، ، و"كداب" عام ١٩٩٤، وكان آخر إصدراتها الغنائية ألبوم "نفسي أكون" عام ٢٠٠١.

تغني بأربع لغات هي العربية والفرنسية والإنجليزية والأرمنية، وشاركت في عدد من المهرجات الغنائية العالمية في فنلندا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا، وقامت بإحياء عدد من المناسبات الرياضية، منها حفل افتتاح كأس العالم لكرة القدم تحت ١٧ سنة لعام ١٩٩٧، وحفل افتتاح كأس العالم للألواح الشراعية عام ٢٠٠٠.

كان أول أعمالها الدرامية على شاشة التلفزيون مسلسل "الطاووس" ١٩٩١ ، وشاركت في الفيلم التلفزيوني

"السيد كاف" عام ١٩٩٤، و"من أطلق هذه الرصاصة" عام ١٩٩٥، و مسلسل "قانون المراغي" عام ٢٠٠٩ مع الفنان خالد الصاوي، وتوالت أعمالها بالمشاركة في مسلسلات "فرقة ناجي عطا الله" ٢٠١٤، و"سرايا عابدين"ج١ ٢٠١٤- و"السيدة الأولى" ٢٠١٤ ، و"سرايا عابدين" ج٢ -٢٠١٥ ، و"جراند أوتيل" ٢٠١٧، و"سقوط حر" ٢٠١٦، و "حلاوة الدنيا" ٢٠١٧ ، "طاقة حب" ٢٠٢٠ ، و"نجيب زاهي شركس ٢٠٢١، و" راجعين ياهوى" ٢٠٢٢ ، و"الحلم" ٢٠٢٢ ، و"الأجهر" ٢٠٢٢

كانت تجربتها الناجحة في تقديم البرامج التي بدأتها مع قناة الـ ART، ثم برنامجها "صالون أنوشكا" عام ٢٠١٧، واستضافت فيه العديد من النجوم والمطربين مثل بوسي وحسين فهمي وميرفت أمين وليلى علوي ويسرا وإلهام شاهين ومحمد فؤاد وهشام عباس ومصطفى قمر، كما أعادت غناء العديد من أغانيها أيضا في حلقات هذا البرنامج، ولأول مرة علي صفحات "مجلة أريك" يُسعدنا أن نجري حواراً مع الفنانة أنوشكا.

أنا فنانة ولست مطربة.... ماذا تعنين بذلك..؟

الفنان أو لقب فنان سامي وشامل، وأعتبر أن موهبة الفنان من الله وهدية أحاول بقدر المستطاع أن أحافظ عليها. وعندما أقول فنان شامل؛ لأنني لست مطربة فقط ،أو ممثلة فقط أو استعراضية فقط أقدم الاستعراضات، وإنما فنانة شاملة.

وأعتز بلقب فنانة. وأحترم جدًا لقب فنانة، وأحاول الحفاظ علي الهدية التي أعطاها الله لي بقدر المستطاع ، فليست الموهبة الخاصة بي فقط ولكن أية موهبة لشخص آخر مهما كانت موهبته — ليس التمثيل فقط ، غناء، استعراض، فن تشكيلي، حرف يدوية أعتبرها فنًا راقيًا في غاية الجمال.

لماذا ابتعدت أنوشكا عن الغناء..؟

أنا لم أبتعد عن الغناء نهائيًا، والدليل علي ذلك البرنامج الغنائي الذي أقدمه (صالون أنوشكا)، فقد غنيت العديد من الأغاني في حلقات هذا البرنامج .ثم إن التمثيل يأخذ مني وقتًا أكثر؛ لأن التمثيل يستمر أكثر من ١٦ ساعة تصوير ، ومن الصعب أن أغني مع ذلك، وفي كل مرة يتم تحديد حفلة فلا تسمح الظروف ، إما بسبب الكورونا أو الأحداث الراهنة في الوطن العربي ..فهذا شيء محزن.

أيهم أقرب إلي قلبك التمثيل ،الغناء، الإعلام ولماذا..؟

لا أستطيع أن أقول أيهم الأقرب إلي قلبي. بل قل ما الفكرة الأقرب إلي قلبك..؟ فالفكرة التي أعمل عليها سواءً أكانت أغنية، مسرحية، فيلم، مسلسل، أو حتي برنامج؛ لأنني أعتبر الأساس عندي هو الفكرة ، والطريقة أو الوسيلة التي تُقدم بها الفكرة. فالفكرة نفسها تنجح إذاعيًا ولا تصلح سينمائيًا، أو فكرة مسرحية يُفضل أن تكون مسلسلًا .. وهكذا .. والخلاصة هي الفكرة هي الأساس.

كيف تجدين ردود الأفعال علي الأعمال التي تقدمينها..؟

أحمد الله كثيرًا جدًا أن الله أكرمني في اختياراتي سواء كنت أختار أو مرشحة لها. هناك احترام متبادل بيني وبين الجمهور أحافظ عليه بشكل كبير، وأعتبره تاجًا علي رأسي، وكذا ردود أفعال الناس مهمة لي ، وخاصة أن الفترة القادمة سأكون مهتمة بوسائل التواصل الاجتماعي، رغم تأخري في الرد علي الرسائل لضيق الوقت.

ما العمل الأقرب إلي قلبك ..؟.وما الشخصية التي تشبهك وتأثرت بها..؟

كل الأعمال التي أقدمها تكون قريبة إلي قلبي، وبالتأكيد مسلسل (جراند أوتيل) له معزة خاصة جدًا في قلبي؛ لأنه كان كرمًا من الله . وكما نقول ، كان نقطة انطلاقة كبيرة وثقة بيني وبين المنتجين، وتوالي الأعمال.. فالله يختار لي الوقت المناسب لتكريمي، ويمكن (جراند أوتيل) كرم من الله. وتوالت كل الأعمال، وسواء أكانت قبل أو بعد .. فأن أحمد الله كثيرًا.

بما أنك تجيدين الأرمنية ...هل سبق لك أن غنيتي بالأرمنية..؟

نعم،غنيت بالأرمنية ، فالجذور أرمنية ، ودرست

اللغة قراءةً وكتابةً ، وتأثرت بها ، وتعلمنا الغناء في الحضانة والمدرسة، وغنيت في كورال المدرسة في كورال(جرونج) حيث تعلمنا أصول الغناء.

ما الفرق بين الغناء باللغتين الأرمنية والعربية؟ وأيهما أقرب إلي قلبك..؟

لا أستطيع الفصل بينهما. فالإنسان يملك يدين وعينين ، لأن الاثنين أنا، والاثنان داخلي، كالشهيق والزفير. وأيهما الأقرب لا أستطيع الإجابة عليه. وهل أغني بالعربية فالاثنان طبعا، وأيهما أقرب فلا فرق بينهما

كم مرة قمتى بزيارة أرمينيا ؟ وهل غنيتي هناك ..؟

زرتها وأنا صغيرة في الرابعة عشرة من عمري ، ومن فترة وجيزة قبل الكورونا مباشرة كان هناك الأسبوع المصري في أرمينيا، وكنت موفدة من وزارة الثقافة المصرية لتقديم الأسبوع المصري هناك، ولقد شرفت بالذهاب لتقديم مصر، وفي نفس الوقت بما أن جذوري أرمينية؛ فقد غنيت ثلاث أغاني بالأرمنية.

هل تتقبلين النقد..؟

نعم، أتقبل النقد، فبدون النقد لا أعرف ماذا فعلت ..؟ وكذلك ردود فعل الناس، وأتقبل النقد من الناس ومن النقاد.

ما العمل الفني الذي تعتزين به، وكان نقطة فارقة في تاريخ أنوشكا الفني..؟

مسلسل (قانون المراغي) من إخراج أحمد عبد الحميد، يمكن قد تكون البداية الحقيقة؛ لأنه عُرض في رمضان ولاقي نجاحًا كبيرًا، وكان ضمن أربع مسلسلات أكثر متابعة في شهر رمضان مع خالد الصاوي وغادة عبد الرازق. وكانت الانطلاقة الجادة من خلال المسلسل ؛ فقد اختارني الفنان الكبير عادل إمام لأشاركه في مسلسل (ناجي عطا الله)،وأعتبره فاتحة خير بالنسبة لي.

من الذين أثروا في أنوشكا خلال مسيرتها الفنية..؟

الكثير من الفنانين، بداية من المدرسين بمدرستي ، وفنانين مثل شارل أزنافور، وكذا فناني الأبيض والأسود.

ما الجوائز والتكريمات التي حصلت عليها أنوشكا..؟

شاركت في مهرجانات عالمية وحصلت علي الجوائز،ومنها مهرجان(الفرانكفونية) في فرنسا سنة ١٩٩٤، فقد رشحتني الدولة ممثلة في المجلس الأعلي للشباب والرياضة في عهد الدكتور عبد المنعم عمارة، وشرفت بالوقوف لمدة سبع دقائق علي مسرح (الأوليمبيا) في باريس. وكان هذا بالنسبة لي كرمًا من الله ؛ فقد حصلت الإحساس بالعزة والفخر بعد ان رأيت علم مصر مرفوعًا أمامي.

متي بدأت صلتك بالغناء..؟..ومن شجعك علي ذلك..؟

احترامي للفن منذ الحضانة.. ففي مدارس الأرمن ، كانوا يغرسون داخل الطفل النبتة الفنية،ومن أكثر الصور التي كنت أعتز بها عندما كنت تقريبا في الخامسة أو السادسة أغني علي خشبة المسرح ، أو أقدم مسرحية ، أو أقدم إلقاءً شعري..فهذه الأعمال غرست في حب الفن منذ الطفولة ، واحترام خشبة المسرح.

ما مدي تقبل الجمهور للغناء باللغة الأرمنية..؟وهل انت مستعدة للتعاون مع فنانين أرمن..؟

يتقبل الجمهور الغناء الأرمني بشكل جميل.. والجمهور الأرمني ذواق ومحب للفن ، والثقافة بالنسبة للأرمني رجل الشاعر العادي مهما كان غنيأ أو فقيرًا فهو يحترم كل ما يتعلق بالفن، رسم، غناء، تصوير، أيًا كان ، والشعب الأرمني مثل الشعب المصري كريم ومضياف ، ويفتح ذراعيه بمحبة كبيرة لكل الناس.وبالتأكيد أتمني أن أُقيم حفلات أكثر وأتعاون مع فنانين أرمن سواء في أرمينيا أو خارج أرمينيا.

لماذا لا يساهم الأرمن في مصر في إنتاج فيلم روائي طويل يعبر عن الإبادة الأرمنية..؟

عدد الأرمن في مصر ليس كبيرًا، ومعظمهم غادر مصر بعد أن كان العدد كبيرًا عندما احتضنتهم مصرهروبًا من تنكيل الأتراك وإباداتهم للأرمن؛ فعاشوا وترعرعوا وأقاموا مدارسهم ، وبيوت لهم وكنائس كعادة مصر.

وأنا كمصرية فخورة أن هذه من سمات المصريين مثل: كرم الاخلاق والمحبة والرحمة، وهذه مصر التي أفتخر بها...وكوني مصرية بجذور أرمنية ولو كنت ولدًا لخدمت في الجيش مثلي مثل المصريين من أصول أرمنية.

وإنتاج فيلم عن الإبادة يحتاج إلي ميزانية ليست سهلة، تفوق ميزانية وقدرات الأرمن في مصر رغم وجود استثمارات لهم في المصانع والمحلات والحرف.

هل هناك تواصل مع الأرمن المصرين ..؟..وما الأنشطة التي تشاركين فيها..؟

نعم ، هناك تواصل مع الأرمن، ونحن في المدرسة كنا أصحابًا منذ الحضانة والمدرسة الثانوية، وفي النادي كبرنا ، وكأي مصري يحافظ علي أصدقائه فشيء بديهي وإنساني لنا جميعًا، سواء زملاء بالمدرسة الأرمنية أو في الجامعة الأمريكية أو زملاء مروا بحياتي، و علي مدار



سنوات عمري أحب التواصل مع زملاء الطفولة.
وعن الأنشطة التي أشارك فيها، فليس هناك أنشطة محددة الآن؛ لأنني كفنانة أو اهتماماتي الفنية تعوق أن أشارك في أعمال معينة، وعندنا يكون هناك شيء معين، أشارك في مهرجانات باسم مصر هنا وهناك وأكون سعيدة بالمشاركة باسم مصر، وإذا استدعي الأمر المشاركة مع أصدقاء الطفولة فلا أمانع ، وهذا يسعدني كثيرًا.

ماذا عن ذكرياتك في مدرسة كالوسديان..؟

أحلي ذكريات حيث تكونت شخصيتي الفنية، والشخصية المسؤولة ، فتعلمت احترام بلدي، وعلم مدرستي، فكل ذلك تكون في شخصيتي، وليس وحدي وإنما جميع من تخرجوا وانتشروا في الوزارات والهيئات المصرية، ولن أستطيع أن أقول أننا منفصلون لأننا جزء من النسيج المصري.

كيف جاءت فكرة التمثيل..؟ ومن شجعك..؟

منذ بداية المدرسة والمدرسة تتابع وتشارك في مهرجانات مدرسية علي مستوي الجمهورية، وكنا نشارك، ونلقي التشجيع من الأهل والمدرسة، وأعتبر أن الله كتب لي ذلك.

رغم اعتزازك بمصريتك إلا أن البداية كانت في كالوسديان الأرمنية..؟

هذا شيء طبيعي، ومدرسة كالوسديان الأرمنية تندرج تحت مدارس الجمهورية ، وشهادتها شهادة حكومية مصرية تمامًا.

كيف تقيمين تجارب الفنانين الأرمن في مصر..؟

لست أنا من يقيم تجارب هؤلاء النجوم، وجميعنا نفخر بما قدمه الأرمن، كتجربة فيروز ، ونيللي، ولبلبة، وصاروخان، وتاكفور أنطونيان، والكثير والكثير.
والأرمن هم من نسيج الشعب ونسيج مصر، وحتي اليوم لو سألت كل مصري من أصول أرمنية بما تشعر.؟ أنا و غيري ، منغرسون في النسيج المصري.

هل استطاعت السينما المصرية أن ترسم الشخصية ليس هناك شئ بعينه للحكم عليه، ومصر عندما تقدم شيء لن يستطيع أحد أن يقدم أكثر مما هو موجود، فمصر كوزومبولوتية استوعبت الإيطاليين واليونانيين والأرمن، وأي أحد يمر بمصر لا يستطيع أن لا يحب مصر؛ فكلنا أنا وجيلي والأجداد مصريون من نسيج واحد.

هل تشاركين الجالية الأرمنية إحياء ذكري الإبادة الأرمنية في كل عام..؟

بالتأكيد فكنت حريصة منذ صغري، لكن الآن بسبب انشغالي بالأعمال الفنية فلا أتمكن من المشاركة، ولكن لو هناك مناسبة معينة بالتأكيد فلن أتأخر لأنها ليست للأرمن فقط ، وما يحدث من الآن للفلسطينيين من الإبادة مثل الإبادة الأرمنية، ويمكن أن تكون أقل وطأة مما حدث للأرمن. والآن نري ما يحدث في فلسطين وبلاد أخري إفريقية تعرضت لإبادات ومجازر، وكلها ممارسات ضد الإنسانية .

هل هناك تواصل مع الفنانين الأرمن في أرمينيا..؟

للأسف ليس الآن، ليس هناك تواصل وإن كان هناك بعض التواصل مع بعض الفنانين الأرمن الذين سافروا إلي أمريكا وفرنسا. ولا مانع من التواصل مع الفنانين الأرمن إذا جاءت الفرصة

. ما السر الذي جعل مصر موطنًا استقر به الأرمن عبر العصور..؟

مصر أم الدنيا، ولم يُقال ذلك من فراغ؛ فكل اللاجئين سواء من سوريا ،السودان، وليبيا، وغيرهم لجأوا إلي مصر عبر العصور، وكأن الله قدر لمصر أن تكون الحضن الدافئ الذي يضم كل الناس ، وبالتالي كل من يقيم بها يلقي الاحترام والتقدير حتي الأرمن ، وأنا مصرية أصول أرمنية

لماذا استقرت أسرة أنوشكا داخل مصر، ولم تهاجر خارج مصر..؟

يًسأل في هذا جدي وجدتي حيث أتوا وعملوا، وعندما تسأل نفس السؤال للسوريين أو غيرهم عندما استقروا وعملوا؛ لأن مصر احتضنت الآلاف والآلاف من الأرمن الذين هربوا من مذبحة الأتراك ، واستقروا في مصر ووصلوا إلي مناصب مرموقة وعلي رأسهم نوبار باشا الذي وصل إلي منصب رئيس النظار. ونحن لم نهاجر لأننا مصريون، وأنا عن نفسي وعائلتي لا نستطيع الهجرة فالسمكة لا تستطيع أن تخرج من الماء وتعيش خارجها.



دستور لمن و على من.. قراءة في مآلات دستور ١٩٢٣

بقلم: أحمد محمد إنبيوه

شهدت مصر في عام ١٩١٩، ثورة شعبية كبيرة بمقاييس ذلك الزمن، تسببت في تغير موازين القوى في معادلة السياسة المصرية. فلم تعد قائمة فقط على القصر ودار المعتمد البريطاني، بل كان ثمة وافد جديد ممثل في القوة الشعبية الجبارة ومن يمثلها، أي الوفد المصري. ومن ثم، أنتج هذا الصخب الثوري والسياسي الذي صاحب الثورة، رغبة حقيقية في كتابة الدستور، ليعبر عن هذه المتغيرات الجديدة، ويحيلها إلى نصوص مكتوبة وقواعد قانونية ملزمة، ويعبر عن توازن القوى الذي اختل بظهور الوفد وظهيره الجماهيري الضخم. وبعد مداولات ومعارك ظهر دستور ١٩٢٣ للنور. وخلال الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٢، نجح دستور ١٩٢٣ حيناً وفشل أحياناً كثيرة، في جعل كل القوى السياسية تعترف به كأهم وثيقة قانونية. ومن ثم فإن الاحتفال بمئوية دستور ١٩٢٣، فرصة لإعادة تسليط الأضواء من جديد على هذا الحدث المحوري في تاريخ مصر. وإعادة التفكير من جديد في جدوى النص الدستوري وحده بوصفة مفتاح الدخول لأي عملية تغيير سياسي.

وإذن، ثمة علاقة مركبة بين الثورة والدستور. فموجات التغيير الهائل التى تُطلقها الثورة من عقالها؛ والتي تصيب كل معمور سياسي ينتمي إلى الماضي تحتاج إلى "بناء"؛ يعيد تشكيل البنى السياسية، يعيد بناء التراتبات الطبقية والاجتماعية على أسس جديدة، يعيد كتابة العقد



الاجتماعي بين الشعب والحاكم، بوضع مقولة "الأمة مصدر السلطات" موضع التطبيق العملي. الدستور بهذا السياق يلعب دور حارس خبيئة الآمال والأحلام والطموحات والرغبات الجماهيرية من نظام الحكم. إن مدار الاهتمام بصياغة وثيقة دستورية وازنة جديدة بين الحاكم والمحكومين بين القوى الاجتماعية والسياسية يتجسد في زيادة مساحة "حقوق الفرد العادي"، في مقابل قفل مساحات الحراك الحر أمام الحاكم. كان هذا هو المنطق الليبرالي لنظرية الحكم التي أرادها الوفد ومن يقف في جبهته أن تكون قالباً يُصب فيه ويُنسج على مقاسها الدستور الجديد. باختصار يمكن القول، إن امتلاك الشعب للسيادة في مراحل الانتقال السياسي يغدو غاية النشاط الثوري. فهل بدا أن الشعب المصري أمتلك السيادة حقاً لحظات الفوران الثوري تلك؟

ومن ثم، فقد جاءت ثورة ١٩١٩، الثورة الشعبية الأضخم في تاريخ مصر الحديث، تعبيرا عن سؤال

وجـودي، عـن المـالكين الحقيقيـين للمحروسـة، ومـدى قـدرتهم علـى النفـاذ إلى نـص النصـوص الدسـتوري.. والإجابة على هذا التساؤل الكبير تبتعد بنا درجة ما عن المسـاجلات والمـداولات المباشـرة الـتي دارت في السـياق الزمني المصاحب لعمليات إنتاج دستور ١٩٢٣. وتقربنا بالأسـاس مـن الأثـر الـذي تركـه الدسـتور في الفضـاء السياسي والمجتمعي العام، وهذا هو هدف هذه المداخلة؛ الاقتراب من سياقات تواجد النص الدستوري في الفضاء السياسـي والمجتمعـي، لاكتشـاف الإجابـة علـى تسـاؤل، لماذا لم يكن كافيا؟

إن العلاقة المركبة ما بين الثورة والدستور، لا تنتهي فقط لـدى تعبـير الوثيقـة الدسـتورية عـن مصـالح الغالبيـة، أو في إظهار قدرتها على لجم التطلعات السلطوية لنظام الحكم لصالح بنية ديموقراطية. إذ أن كل هـذه الإنجازات في حال تحققها تبقى إنجازات نصية، ما لم تلحق بفعل السياسة على أرض الممارسة العملية. في هذا المعنى كتب أحمد لطفي السيد في جريدة "الجريدة" عام ١٩٠٨: "إذا كـان الدستور لا يتوقـف نيلـه إلا علـى إحسـاس الأمـة بالحاجة إليه؛ فإن الأمة الآن على قيد شبر من الدستور". ودومـاً كانـت الأمـة خـلال النصـف الأول مـن القـرن العشرين على قيد شبر من نيل الدستور. فرغم نيل الأمة لدسـتورها في ١٩٢٣ إلا أن ذلـك لم يشـبع نهمهـا الدسـتورى؛ إذ ظـل نافصـاً؛ فالدسـتور الـذى وضـعت صياغته النهائية لجنه حكومية تابعة لـوزارة العـدل بعـد صـياغة لجنـة الثلاثـين، لم يكـن ليكـون كافيـاً؛ أذ ظـل محتفظـاً بروحـه الحكـومى. لـذا، يمكـن اعتبـار الـنص الدسـتوري خـلال النصـف الأول منـق القـرن العشـرين " نصـاً حيـاً " أشبه ما يكون بالجسد فى نموه وتكيفه مع الواقع المنتج له. ويمكن القول، إن مفهـوم "النص الحي" يجعل فهمنا لدستور ٢٣ وثيقة لا نهائية، فسياسيا كانت السـلطة دوما غير مكتملة، فمصر كانـت مـا تـزال بلـد واقعة تحت الاحتلال، والصراع الاجتماعي ظل كامنا في أعماق الريف وبين سياقات الطبقة العاملة في المدينة.

في هذه الأجواء لا يمكن اعتبار أي نص دستوري مهما كـان نضجه القـانوني وثيقة نهائية. يمكـن القول إذن، إن سـنوات مـا بعـد ترسـيم الحـدود والأطـر الصـلبة للدولـة الحداثيـة بدسـتور١٩٢٣ كانـت صـاحبة للغايـة، ذلـك أن

هـذا الترسيم لم يأخـذ فى حسبانه الإمكانيـات التطوريـة
في هـذه الأجواء لا يمكـن اعتبار أي نص دستوري مهمـا كـان نضجه القـانوني وثيقة نهائية. يمكـن القول إذن، إن سـنوات مـا بعـد ترسـيم الحـدود والأطـر الصـلبة للدولـة الحداثيـة بدسـتور١٩٢٣ كانـت صـاحبة للغايـة، ذلـك أن
هـذا الترسـيم لم يأخـذ فى حسبانه الإمكانيـات التطوريـة ومساحات النضج التى يُمكن أن تطال فئات وشرائح بل وطبقات اجتماعية كالأفندية – صانعي الحدث المفصلي الثوري بالأساس. لقد أظهرت تلك السنوات أن الكتلة الفاعلة والنشطة غير معبر عنها سياسيا – إلا فى اطارات ضـيقة فى حـزب الوفـد فى سـنواته الاولى حـتى أواخـر الثلاثينيات قبيل الانشقاق الثانى (أحمد ماهر والنقراشى). إذن، تسرب الإحساس مبكراً بعجز النص الدستورى؛ عن أن يكون نص السيادة الجماهيرية بحق، فكان نصاً مغـايراً لسـياقه الثـوري، غـير معـبر "بجـلاء" عـن الطيـف الاجتماعى التحتي. باختصار، يمكن وسمه بأنه كان أبناً شائهاً للضرورة السياسية .

لقـد اعتقـدت اللجنـة الـتى أُنـيط بهـا صـياغة الوثيقـة الدسـتورية فى عـام ١٩٢٢، أنهـا حسـب توصـيف أحـد الكتـاب (محمـد خليـل صـبحي في كتابـه تـاريخ الحيـاة النيابية فى مصر من عهد ساكن الجنان محمد على باشا والـذي نشـر في ١٩٣٩) "هيـأت للحيـاة السياسـية فى البلاد ثوبـاً لا هـو بالواسع الفضـفاض فتضـطرب فيه ولا هـو بالضيق فتضـجر منه " ، لكـن يبدو أن هـذا الثوب كـان ثوبـاً حريرياً نخبوياً على مقاس أوليجيركية سياسية واجتماعية، وفى المقابل كان خشنًا ضيقًا على الجماهير فى كتلتهـا الخـام. وعلـى كـل، كـان ثمـة إحسـاس عميـق بـالظلم البـين مـن الواقـع الـذى أنتجـه تطبيـق الـنص الدستوري فى الفضاء السياسي العام. ففى عام ١٩٥١(أي بعـد مـرور أكثـر مـن ربـع قـرن علـى إنتـاج الدسـتور) كتب فتحى رضوان، فى روز اليوسف مقالاً عنوانه موحى للغاية "دستور مصر لم يولد بعد"، يقول فى بدايته : "أنا ممن يؤمنون بأن الدستور لم يولد بعد (أى الروح والفعل دونما النص) وأن الحريات المنصوص عليها فيه لم تر نور الحياة، أو أن الشعب على الأقل لم يتمتع بها ولم يسمع عـن أطايبهـا ولذائذهـا، إلا فيمـا يلقيـه خطبـاء الأحـزاب عليه من خطب منبرية. هذا هو نصيب الشعب فى جميع

منذ أعلن الدستور. أما الذين يظفرون بنصيب الأسد من حريات الدستور فهم السادة الزعماء وكبار أنصارهم". أى أن من سقطت ثمار الدستور عليهم؛ هم تلك الأوليجيركية السياسية والطبقية الضيقة فى حلبة الفعل السياسي، أما الكتل الخام من الجماهير فقد ظلوا خلوا من الثمار الدستورية بل وظلوا جياعاً لفعل السياسة ولم يغنيهم الدستور بل العكس؛ إذ ظلت الحسرة فى العقل والنفس والقلب هى الحاكمة لهم بل وللوجدان العام .

بل كان التسأول يطرح بين الفينة والأخرى حول الأسس السياسية والفكرية التي كان من المفترض أنها لم تعد محل طرح بعد الدستور.. فعلى صفحات جريدة "المقتطف" — إحدى الأدوات المهمة لعقلنة المجال العام بالأفكار الغربية — نشر عبد الرحمن شهبندر فى مارس وأبريل ١٩٣٤ دراسته عن " أصلح أشكال الحكم فى العالم العربي "، وأنهى منظومته النقدية لبنية التفكير السياسي وقتذاك، بعد عام كامل فى مارس ١٩٣٥ بدراسته المعنونة " الثورة ". بهذه المنظومة النقدية للشهبندر، بدا الرجل يدور فى فلك عكس المنطق، فبعد استقرار قواعد العمل السياسي بدستور١٩٢٣، يعود شهبندر إلى التساؤل عن " أصلح شكل فى الحكم "؟، أهو الشكل الديموقراطي أم الارستقراطي، الاستبدادي الأوتوقراطي أم الشوري النقابي، الشيوعي اللا وطني أم الفاشستي المتطرف فى الوطنية ؟.بعد ما يقارب الربع قرن من التطبيق، كانت الأمنية الكبرى لا تزال، هى العودة للمربع الأول فى العلاقة الكلاسيكية بين " النص الدستورى "، و " سياقات الإنتاج "، أي إعادة صياغة صلة الربط بينهما. فحسب ناثان براون، عالم السياسة والمفكر الأمريكي المعروف، أن على العلماء والباحثين أن يركزوا أكثر على السياقات المنتجة للنصوص الدستورية أكثر من النصوص ذاتها، فالنصوص قد تكون أقل دستورية من سياقاتها المنتجة؛ أي أن السياقات قد تكون حُبلى ومشحونة بإبداعات وأفكار لو أنها انتقلت للنصوص لأضحت نصوصاً مثالية. لكن هذا هو الواقع؛ فقر النصوص وثراء الواقع المنتِج لها مما يجعلنا فى النهاية نولي السياقات اهتماماً أكبر على أى حال. نعم كانت ثمة رغبة هائلة فى العودة إلى فردوس النص الأول وقيمه ومثله ونبعه الأول، أي النص فى ثرائه النظري المفترض، وسياقاته البكر الأولى في قدراتها الإبداعية .

كان ثمة حلم في كتابات دوائر المجال العام في الصحف والمجلات وغيرها، يعكس "رغبات متصاعدة" للجماهير وقتذاك — أي فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين — ليتحول الدستور، فعلا روتينيا متعارفا عليه فى ردهات الواقع اليومي، وليس مجرد نص أيقوني، وذلك سنوات من التطبيق، عجزت فيه السلطة عن تمثل أغلب القيم الليبرالية التى أسس لها دستور١٩٢٣.

بل وذهبت في الاتجاه المعاكس، وذلك كما أظهرته مقترحات النائب الوفدي اسطفان باسيلي؛ إذ تقدم بثلاث تشريعات لمجلس النواب في ١٩٥١، تجيز للحكومة أن تعطل الصحف أو تلغيها بقرارات إدراية وقاية للنظام الاجتماعي. ورغم فشلها، إلا أنها أشارت إلى رغبة سلطوية فى مصادرة كل شكل من أشكال الشرعية السياسية لصالح الدولة كى تمارس وظائفها بطريقة شاملة ، وكأنه اتجاه لمصادرة الفعل السياسى فى المجال العام، أو بالأحرى تجميد الفاعلية فيه. وفي تتالي الأحداث، بدا وكأن حريق القاهرة —٢٦يناير ١٩٥٢، أتى بمثابة بديل ذهبي ليحقق ما فشلت فيه محاولة باسيلى، فكأنما القاهرة بهذا أُحرقت من أجل فرض الأحكام العرفية. فكانت هذه محاولة دموية لتسكين المجال العام الذى أضحى ثورياً تماما في تلك الأثناء، ونزع دسمه السياسى وتحويله لمجال عام أليف قابل للاستئناس، وكأن الحريق بهذا كان من أجل استمرار " النص الأليف " سيداً للفضاء السياسى، وكذا من أجل وأد النص الآخر الثورى .

تعالت نبرة التباكى إذن في فضاءات المجال العام، على ذوبان فعالية النص الدستورى فى دهاليز البرجماتية السياسية، وحاول البعض تفسير هذا، إضافة إلى ما سبق ذكره آنفا، إلى غياب الحرية. الحرية فى القول والبوح الحرية للأفراد والجماعات، وبالتالى كان هذا كأنه حديث مضمر عن العلاقة الإشكالية بين القمع وفعالية النص وربما إنتاج النص الدستورى ذاته. وحتى ندرك أكثر لنتابع ما كتبه أحدهم، في جريدة اللواء الجديد، فى مقال بعنوان "احرصوا على الحرية" : "كان خليقاً أن تحرصوا على الدستور نصاً وروحاً (يوجه المؤلف خطابه إلى نخبة الحكم كما قبل ١٩٥٢) ، لا تتركوه جثة هامدة يعيث

فيها الفساد وتنهش فيها الأغراض ... إن الدستور بغير حرية جسم بلا روح ، وهيكل يلعب فيه البوم ... لقد كان كفاح الأمم وصراعها من أجل الحرية وحدها . كان الصراع المرير لكى يقف الطغاة الفاسدين عند حد محدود، كى يحترموا حرية الأفراد". ووصلاً بالحديث عن الحرية ودورها فى إشعال جذوة الفاعلية فى النص الدستوى. فنجد مثلاً أن أحمد بهاء الدين ، يعول عليها باعتبارها السلاح الفعال فى أيدى الشعب والتى يعرقلها: "جبل من القوانين والتشريعات الرجعية. عشرات من النصوص والتشريعات. فثمة قانوناً للاجتماع وقانونا للتظاهر وثالثاً للجمعيات ورابعاً للصحف وخامساً لتحريم النشاط السياسى على الطلبة وسادس لتحريمه على الموظفين. فكيف يرفع الشعب صوته إذا كان محروماً من الاجتماع والتظاهر وإصدار الصحف والانتظام فى جمعيات .. ؟ وكيف يستعمل الشعب هذه الحقوق إذا كان تقديرها متروكاً للإدارة ؟ ... لابد إذن من حملة شاملة مركزة لإلغاء هذه القوانين الغريبة على الديموقراطية والنظم الدستورية."قابل المجال العام هذه المحاولة بنقاشات هادرة فى قوتها سيالة فى كثافتها، مثلت التجسيد النقي لفكرة النقاش العام، وأدوارها فى سنوات الانتقال السياسي الثوري. حقاً، لقد كانت ثمة رغبة عامة فى زوال الحكم العرفي، ولنستمع لما يقوله محمود الحناوي في اللواء الجديد، في العدد المنشور قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ بيوم واحد "منذ ٢٦ يناير والبلاد يخيم عليها كابوس الحكم العرفي مع أن حوادث ذلك اليوم لم تدم إلا ساعات واستطاعت الحكومة أن تضبط الأمن وتسيطر على النظام بالوسائل العادية وبقوات البوليس، وفي اللحظات التي أعلنت فيها الأحكام كان كل شيء قد عاد إلى هدوئه الطبيعي ومع ذلك فالحكم العرفي باقٍ. إن كان السبب فى بقاء الأحكام العرفية هو وجود قضايا لا تزال منظورة أمام المحاكم العسكرية، فهذا سبب واهٍ غير معقول؛ لأن لنا فى قضائنا العادي سياجاً يحمي المجتمع ويحمي حقوق الأفراد. فأرفعوا الأحكام العرفية ودعوا البلاد تستنشق نسمات الحرية فى كل مظاهرها. حرية القول، وحرية الكتابة، وحرية الاجتماع. وقبل ذلك كله الحرية الشخصية التى هى أثمن شيء فى الوجود ".

لقد كانت المفارقة الكبرى أن بوادر الفعل الجمعي أخذت ليبرالية من ذي قبل، وذلك في ظل حكومة الوفد الأخيرة. وقد ساهم الوفد بنسبة في تأسيس أولي لسيادة جماهيرية متخيلة جديدة ستتحول إلى ثورية بعد قليل من الزمن؛ فقد أطلقت الحكومة حرية الصحافة بعد الانتخابات مباشرة، وألغت قانون الأحكام العرفية في مايو ١٩٥١. وبالتالي توافرت للمجتمع المدني فرصة هائلة لتوسيع نشاطاته توسيعاً هائلاً. وفي ظل هذا المناخ المفتوح نسبياً يمكن القول إن الصخب الاجتماعي والسياسي — المختزل لدينا فى مفهوم النقاش العام كما سبقت الإشارة – قد عاد ليرتبط فى الغالب بالنص الحاكم للعلاقة بين الحاكم والمحكومين، أو على أقل تقدير دار حول قيمه المؤسسة. إذن، حاول السياق (بمفهوم ناثان براون) خلال الفترة التالية لصدور الدستور، في الثلاثينيات والأربعينيات استعادة فاعلية النص الدستوري، لجعله جسداً سياسياً واجتماعياً واقعياً، يعتد ويتأثر بدرجة معتبرة بالرأي العام والمجال العام.. وإذا عدنا للعلاقة المقدسة بين الدستور والثورة، فى الأدبيات التى تناولت مراحل الانتقال الديموقراطي. نجد، صعوبة انتهاء دور نص الأساس الدستوري. بخاصة في الحالات التي تتبقى فيها الأسئلة الكبرى التي تطرحها الثورة بغير إجابة. ومن ثم، وفي خضم الأجواء العاصفة التي عاشتها مصر عقب العمل بدستور ٢٣، لم يتوقف النص عن إعادة إنتاج ذاته مراراً وتكراراً، وظل حضوره نصا وفعلا يتم التباكي علي فاعليه مفتقده له في ساحات الفعل السياسي. وهذا يؤكد أن النصوص الدستورية تظل في حالة نمو ما دامت الحاجة إليها مستمرة، وما دامت خريطة الواقع تنتظر على الدوام فاعل جديد، قد يعيد هندسة المشهد السياسي والاجتماعي.. وما أكثر الفاعلين، لكن ما أقل القادرين على إدماج رؤى وأحلام المخيال الجمعي الشعبي في متن الوجود الدستوري. كما يمكن الإضافة، أن المبادئ المؤسسة لليبرالية النص الدستوري فى عام ١٩٢٣ استمرت كـ "سجال عام" فى الوعي الجمعي المصري خلال أغلب سنوات النصف الأول من القرن العشرين، ولم يتم إقرارها مبادئ مستقرة في الوجدان القانوني والممارسة السياسية. كمبدأ "الأمة مصدر السلطات". وفي الإجمال، إذا كان ثمة إرادة لإنهاء الحالة الثورية وما يصاحبها من صخب، لا يمكن الاكتفاء إذن بثورية النص ومثاليته القانونية وفقط، فثورية السياق

نقر الطبول من أجل المساواة



بقلم: جاكلين جرجس

في الثامن من مارس كل عام يحتفل المجتمع الدولى باليوم العالمي للمرأة. وفي هذا العام، وذلك للاحتفال بمنجزات المرأة على صعيد القوى العاملة وأيضا يلفت الانتباه لأثر التغيرات في عالم العمل على المرأة من حيث الفرص ومن حيث المخاوف المتزايدة مثل عدم رسمية العمالة وعدم استقرار سبل المعيشة والدخل. ومن خلال إطلاق الإمكانات الكاملة للمرأة في عالم العمل، فإنه بمقدورنا أن نسعى نحو إنهاء الفقر وتعزيز النمو الاقتصادي الشامل والمستدام والتقليل من انعدام المساواة داخل البلدان وبينها إلى جانب تحقيق المساواة في النوع الاجتماعي وتمكين كافة النساء والفتيات. الاحتفال بهذه المناسبة جاء إثر عقد أول مؤتمر للاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي في باريس عام ١٩٤٥. ومن المعروف أن اتحاد النساء الديمقراطي العالمي يتكون من المنظمات الرديفة للأحزاب الشيوعية وكان أول احتفال عالمي بيوم المرأة العالمي، رغم أن بعض الباحثين يرجح أن اليوم العالمي للمرأة كان على إثر بعض الإضرابات النسائية التي حدثت في الولايات المتحدة.

في بعض الأماكن يتم التغاضي عن السمة السياسية التي تصحب يوم المرأة فيكون الاحتفال أشبه بخليط بيوم الأم، ويوم الحب . ولكن في أماكن أخرى غالباً ما يصاحب الاحتفال سمة سياسية قوية وشعارات إنسانية معينة من قبل الأمم المتحدة، للتوعية الاجتماعية بمناضلة



عالمياً. بعض الأشخاص يحتفلون بهذا اليوم بلباس أشرطة وردية.

يحتفل باليوم العالمي للمرأة بطرق متنوعة في جميع أنحاء العالم؛ إذ يعتبر يوم عطلة رسمية في العديد من البلدان، ويحتفل به اجتماعيًا أو محليًا في بلدان أخرى تحتفل الأمم المتحدة بالعيد فيما يتعلق بقضية أو حملة أو موضوع معين في حقوق المرأة في بعض أنحاء العالم، لا يزال اليوم العالمي للمرأة يعكس أصوله السياسية، ويتميز بالاحتجاجات والدعوات إلى التغيير الجذري؛ في مناطق أخرى سيما في الغرب هو اجتماعي ثقافي إلى حد كبير ويتركز حول الاحتفال بالأنوثة.

أما أرمينيا احتفلت بالمرأة التى تقدرها و تجلها عن طريق جعل وسائل النقل العام مجانية للنساء، ولن يتم فرض أي رسوم عليهن، لأول مرة في يريفان عاصمة أرمينيا،

وأيضا تم منح حوالي ١٥ ألف امرأة تعمل في الهياكل المجتمعية تذاكر لحضور فعاليات ثقافية مختلفة، أما مجتمع النساء اللاتي شاركن في الحرب، وأصبحن معوقات، وكذلك العائلات النازحة قسراً من آرتساخ سيمنحون أكثر من ألف تذكرة لحضور عرض باليه "جايانيه" الذي سيقام في الأكاديمية الوطنية بمسرح الأوبرا والباليه تقديرًا لتضحياتهن الثمينة لبلادهم.

لم يكن وضع المرأة في الوطن العربيّ مختلفًا عمّا كان عليه في مناطق أخرى من العالم، حيثُ مرَّ وضع المرأة عبر التاريخ بمراحل من التمييز، مما أدى لخضوع المرأة لقُيود على حُقوقها وحُرّيَّاتِها. بعض هذهِ القُيود تأسَّست على المعتقدات الدِّينيَّة، ولكنَّ العديد من هذه القُيود ترجع إلى الثقافة كما تنبع من العادات والتقاليد القبلية. وتمثل هذهِ القُيود عقبة نحو حُقوق وحُرّيَّات المرأة، وتنعكس بالتالي على القوانين والتّشريعات المتعلقة بالعدالة الجنائية والاقتصاد والتعليم وكذا الرّعاية الصّحيّة والمهنى تسعى المجتمعات فى الشرق الأوسط إلى تغيير إيجابى ليواكب التطورات المختلفة فى العالم فى واقع الأمر أن هذا التغيير الايجابي الذي تسعى له المجتمعات مرهون بشكل كبير بواقع المرأة ومدى تمكنها من القيام بأدوارها في المجتمع، فهي تشغل دور أساسي في بناء أسرتها ورعايتها لهم، من خلال ما يقع على عاتقها كأم من مسؤولية تربية الأجيال، وما تتحمله كزوجة من أمر إدارة الأسرة، ومع تقدم المجتمعات وتطورها نجد أن المرأة لم تلتزم فقط بواجبها تجاه أسرتها وتربية الأبناء بل أصبح لها دورًا اجتماعيًا كبيرًا في شتى المجالات، وبناءً على مؤهلاتها العلمية والثقافية والاجتماعية تنوعت أدوارها في المجتمع على مُختلف الأصعدة خاصة أن للمرأة دورًا محوريًا في نهضة المجتعات اجتماعيًا و ثقافيا و اقتصاديا و مشاركتها فى تحرير المجتمعات من سطوة الاستعمار قديمًا وأثبتت من خلال هذا الدور قدرتها على التغيير الإيجابي لبلدانها ، و بما أن المرأة عضوٌ فعال و مؤثر في المجتمع فيجب أن تكون شريكة في إدارة المجتمع وتحمل شؤونه، لذلك فأن المساواة بين الجنسين، إلى جانب كونها حق أساسي من حقوق الإنسان، إلا أنه أساسًا ضروريًا لعالم ينعم بالسلام والرخاء والاستدامة. وعلى الرغم من إحراز تقدم ملموس و واضح على مدى العقود الماضية، لتحقيق المساواة بين الجنسين بحلول عام ٢٠٣٠.

كما أوضح برنامج الأمم المتحدة فى يوم المرأة العالمى أهمية الاستثمار في المرأة لتسريع وتيرة التقدم حيث أصبح تحقيق المساواة القائمة على النوع الاجتماعي أكثر إلحاحًا من أي وقتٍ مضى. إن ضمان حقوق النساء والفتيات في شتى نواحي الحياة هو السبيل الوحيد لبناء اقتصادات مزدهرة وعادلة، وكوكب صحي يصلح لحياة الأجيال القادمة لذلك علينا مواجهة التحديات و تفعيل الحلول الرئيسية أمام تحقيق المساواة القائمة على النوع الاجتماعي بحلول عام ٢٠٣٠ يتأتى ذلك من خلال خمسة مجالات رئيسية تحتاج إلى العمل المشترك لضمان عدم إغفال النساء كم خلال.

الاستثمار في المرأة : قضية تتعلق بحقوق الإنسان. الوقت ينفد. ما زالت المساواة القائمة على النوع الاجتماعي أكبر تحدٍّ في قضايا حقوق الإنسان. ويُعتبر الاستثمار في المرأة من ضرورات حقوق الإنسان، وركيزة أساسية لبناء مجتمعات شاملة للجميع. لأن تقدم المرأة يعود علينا جميعًا بالنفع.

التمويل المراعي لمنظور النوع الاجتماعي: تُشير أحدث التقديرات إلى أن ٧٥ في المائة من البلدان ستحد من الإنفاق العام بحلول عام ٢٠٢٥ بسبب النزاعات وارتفاع أسعار الوقود والغذاء. ويؤثر التقشف سلبًا على النساء، ويحل محل الإنفاق العام على الخدمات العامة الأساسية والحماية الاجتماعية.

التحول إلى اقتصاد أخضر قائم على الرعاية:

يؤدي النظام الاقتصادي الحالي إلى تفاقم الفقر وعدم المساواة والتدهور البيئي، ممَّا يؤثر بشكل غير متناسب على النساء والفئات المهمشة. يقترح أنصار النماذج الاقتصادية البديلة التحول نحو اقتصاد أخضر قائم على الرعاية، يعمل على إيصال أصوات النساء.

دعم صانعي وصانعات التغيير النسويي: تلعب المنظمات النسوية دورًا رائدًا في معالجة فقر المرأة وعدم المساواة. ومع ذلك، فهي لا تتلقى سوى ٠.١٣ في المائة من إجمالي المساعدات الرسمية للتنمية.

أما مصر فقد اتخذت عدد من الإجراءات الواقعية بداية من قول الرئيس السيسي عنها أن :" المرأة المصرية العظيمة ومازالت، دعمًا وظهيرًا لوطنها ولن أكون مبالغًا إذا قلت إن قوة المرأة المصرية هي التي صنعت مجد هذا الوطن فهي رمز العطاء والتفاني والتضحية المتجردة من أي مصلحة هي سر الحياة وأقولها صريحة إن انحيازي للمرأة المصرية هو عن قناعة تامة وإيمان حقيقي بأن احترام المرأة وتقدير دورها، وتمكينها وحمايتها، هو واجب وطني والتزام سياسي وليس هبه أو منحة بل هو حق أساسي لها وعلينا جميعًا أن نتخذه كمنهج حياة، فبدونه لن يتحقق أي نجاح منشود وإن المرأة المصرية مدعوة أكثر من أي وقت مضى لتساهم كما عهدناها دائمًا مساهمة جادة وبناءة في مرحلتنا المقبلة في جمهوريتنا الجديدة التي تشهد العديد من المشروعات القومية العملاقة في تاريخنا الحديث والتي تستهدف في المقام الأول الاستثمار في الإنسان ومثلما كان لها الدور الوطني الأكبر في الحفاظ على هوية الوطن خلال ثورة ٣٠ يونيو وفي إنجاح جهود الإصلاح الاقتصادي."

و على هذا الأساس تم إتخاذ حزمة من الإجراءات الصارمة بخصوص تمكين المرأة و حمايتها و عليه حدث التغير الإيجابي في الرؤية الدولية لملف المواطنة حيث نصت المادة ١١ على أن الدولة تكفل تحقيق المساواة بين المرأة والرجل في جميع الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وفقاً لأحكام الدستور، وأن الدولة تعمل على اتخاذ التدابير الكفيلة بضمان تمثيل المرأة تمثيلاً مناسباً في المجالس النيابية، فضلاً عن أنها تكفل حق المرأة في تولي الوظائف العامة ووظائف الإدارة العليا في الدولة والتعيين في الجهات والهيئات القضائية، دون تمييز ضدها، وفي السياق ذاته، أيضاً أكدت على التزام الدولة بحماية المرأة ضد كل أشكال العنف، وتكفل تمكين المرأة من التوفيق بين واجبات الأسرة ومتطلبات العمل. كما تلتزم بتوفير الرعاية والحماية للأمومة والطفولة والمرأة المعيلة والمسنة والنساء الأشد احتياجاً.

فيما نصت المادة ٥٣ على أن المواطنين لدى القانون سواء، وهم متساوون في الحقوق والحريات والواجبات العامة، لا تمييز بينهم بسبب الدين أو العقيدة أو الجنس أو الأصل ... أو لأي سبب آخر .

و بناءًا عليه ظهر تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة فى صالح مصر حين أعلن" أن تمكين المرأة المصرية يعد حجر الأساس في تحقيق التنمية الشاملة والمتوازنة، بينما تحسن ترتيب مصر في مؤشرات الفجوة بين الجنسين، وتعزز التمكين السياسي للمرأة بعد دستور ٢٠١٤، وكان تقرير التنمية البشرية سابقاً قد أشار إلى تدني مشاركة المرأة المصرية في سوق العمل، فضلاً عن ضعف مشاركة الشابات في الحياة العامة أو السياسية، في حين تم تهميش وتقويض حقوق المرأة في دستور ٢٠١٢ ،كما أكد "البنك الدولي" أن مصر أعدت للمرة الأولى استراتيجية وطنية لتمكين المرأة تتسق مع أهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة، كما أعلن ٢٠١٧ عاماً للمرأة المصرية، مقارنة بتصريحه قبل ٢٠١٤ حيث أشار إلى أن المرأة المصرية تواجه بيئة عمل أكثر صعوبة من حيث المساواة بين الجنسين، إلى جانب تزايد معدلات البطالة بين الإناث رغم زيادة نسبة الحاصلات على مستوى من التعليم العالي.

و قالت صحيفة "الجارديان" إن المرأة المصرية تشغل حالياً ما يقرب من ربع المناصب الوزارية وأكثر من ١٦٠ مقعداً في البرلمان، كما جلست أول قاضية مصرية على منصة القضاء الإداري مما يمثل خطوة تاريخية على طريق المساواة، يأتي هذا مقابل ما أشارت إليه الجارديان ما قبل ٢٠١٤، حيث أشارت حينها أن المرأة المصرية عانت من التهميش وعدم التمكين لفترات طويلة، وظلت بعيدة عن

عن المناصب القوية ومنها القضائية رغم عدم وجود قانون يمنع ذلك.زادت نسبة المقاعد التي تشغلها النساء في مجلس النواب، حيث بلغت ٢٧.٤% عام ٢٠٢١، مقابل ١٤.٩% عام ٢٠١٧، فيما تقدمت مصر ٥٦ مركزاً في مؤشر التمكين السياسي للمرأة، لتحتل بذلك المركز ٧٨ عام ٢٠٢٢، مقارنةً بالمركز ١٣٤ عام ٢٠١٤ تم تعيين ١٣٧ قاضية في مجلس الدولة من هيئتي قضايا الدولة والنيابة الإدارية لأول مرة، كما تم إعادة تشكيل المجلس القومي لحقوق الإنسان لترأسه سيدة لأول مرة في تاريخ المجلس منذ إنشائه، حيث تمثل المرأة نسبة ٤٤ %من تشكيل أعضائه.

زاد تمثيل المرأة في مجلس النواب، حيث يشغلن ١٦٥ مقعداً عام ٢٠٢٢، مقابل ٩ مقاعد في ٢٠١٢، بجانب زيادة تمثيل المرأة في مجلس الشيوخ ليصبح عددهن ٤١ مقعداً عام ٢٠٢٢، مقارنةً بـ ١٢ مقعداً عام ٢٠١٢.

تم زيادة تمثيل المرأة بالسلك القضائي، ليصل عددهن إلى ٣١١٥ قاضية عام ٢٠٢٢، مقابل ٢١٣٣ قاضية عام ٢٠١٢، فيما تم زيادة عدد القاضيات بالمحاكم حيث أصبح عددهن ١٣٧ قاضية عام ٢٠٢٢، مقارنةً بـ٤٢ قاضية عام ٢٠١٢، هذا فضلا عن زيادة تمثيل المرأة بالتشكيل الوزاري، ليصبح عددهن ٦ وزيرات عام ٢٠٢٢، مقابل وزيرتين عام ٢٠١٢.

و بدأنا فى حصاد ثمار الحقوق الاقتصادية

حيث انخفض معدل البطالة في الإناث بمقدار ٥.٤ نقطة مئوية حيث أصبح ١٩.١% في الربع الثالث عام ٢٠٢٢، مقابل ٢٤.٥% في الربع الثالث عام ٢٠١٤، كما تم زيادة نسبة الإناث العاملات بالقطاع الحكومي بمقدار ٧ نقاط مئوية، حيث وصلت إلى ٤٤.٥% في الربع الثالث ٢٠٢٢، مقابل ٣٧.٥% في الربع الثالث ٢٠١٤.

مصر الدولة الأولى في إفريقيا والشرق الأوسط التي تطلق خطة عمل "مسرع أعمال – سد الفجوة بن الجنسين" بهدف القضاء على عدم المساواة بن الجنسين عام ٢٠٢١، بالإضافة إلى إنشاء٢٥٤ وحدة لتكافؤ الفرص على مستوى الوزارات والمحافظات والمحليات لتوعية المرأة العاملة بكافة حقوقها وأهمية مشاركتها في عملية التنمية .

المشروعات الصغيرة والمتوسطة ومتناهية الصغر

المشروع القومي للتنمية المجتمعية والبشرية والمحلية إجمالي المشروعات، كما أن إجمالي المشروعات الصغيرة ومتناهية الصغر الموجهة للمرأة تصل إلى ٦٧.٩ ألف مشروع.

تصل نسبة نصيب المرأة من إجمالي المشروعات إلى ٤٥% بتكلفة ١٣.٣مليار جنيه، كما يصل إجمالي المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر الموجهة للمرأة إلى ٧٩١.٥ ألف مشروع.

بلغت نسبة نصيب المرأة من إجمالي المشروعات في صندوق التنمية المحلية ٦٥.١%، حيث تستفيد من تلك المشروعات١٧.٥ ألف مستفيدة. و بناء عليه يتأكد أنه مع الاصرار و الاستمرار ستتمكن من بلوغ هدفنا المنشود بحلول عام ٢٠٣٠ لتصبح المرأة المصرية فاعلة رئيسية في تحقيق التنمية المستدامة في وطن يضمن لها كافة حقوقها التي كفلها الدستور، ويحقق لها حماية كاملة ويكفل لها – دون أي تمييز – الفرص الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تمكنها من الارتقاء بقدراتها وتحقيق ذاتها، من خلال تحقيق أهداف الاستراتيجية الوطنية لتمكين المرأة المصرية ٢٠٣٠في المقام الأول تسعى الاستراتيجية إلى التأكيد على التزام مصر بحقوق المرأة ووضعها موضع التنفيذ وفقاً لما أقرته المواثيق الوطنية وعلى رأسها دستور ٢٠١٤، والاتفاقيات والمواثيق والإعلانات الدولية التي التزمت بها مصر. كما تسعى الاستراتيجية إلى الاستجابة للاحتياجات الفعلية للمرأة المصرية، خاصة المقيمة في ريف الوجه القبلي، والفقيرة، والمعيلة، والمسنة، والمعاقة، باعتبارهن الفئات الأولى بالرعاية، عند وضع الخطط التنموية من أجل توفير الحماية الكاملة لهن والاستفادة الكاملة من الطاقات والموارد البشرية والمادية لتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص كما نص عليه الدستور.

تتكون استراتيجية المرأة من أربعة محاور رئيسية تسعى إلى تحقيقها وهي:

التمكين السياسي للمرأة وتعزيز أدوارها القيادية

من خلال تحفيز المشاركة السياسية للمرأة بكافة أشكالها، بما في ذلك التمثيل النيابي على المستويين الوطني المحلي، ومنع التمييز ضد المرأة في تقلد المناصب القيادية في المؤسسات التنفيذية والقضائية وتهيئتهن للنجاح في هذه المناصب؛ التمكين الاقتصادي للمرأة من خلال تنمية قدرات المرأة لتوسيع خيارات العمل امامها، وزيادة مشاركتها في قوة العمل، وتحقيق تكافؤ الفرص في توظيف النساء في كافة القطاعات بما في ذلك في القطاع الخاص، وفي ريادة الأعمال، وفي تقلد المناصب الرئيسية

الهيئات العامة والشركات الخاصة وخلق بيئة صديقة للمرأة؛ التمكين الاجتماعي للمرأة من خلال تهيئة الفرص لمشاركة اجتماعية أكبر للمرأة وتوسيع قدراتها على الاختيار، ومنع الممارسات التي تكرس التمييز ضد المرأة أو التي تضر بها، سواء في المجال العام أو داخل الأسرة؛ حماية المرأة من خلال القضاء على الظواهر السلبية التي تهدد حياتها وسلامتها وكرامتها، وتحول بينها وبين المشاركة الفعّالة في كافة المجالات، بما في ذلك كافة أشكال العنف ضد المرأة، وحمايتها من الأخطار البيئية التي قد تؤثر بالسلب عليها من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية.

ويتطلب تحقيق هذه الأهداف العمل الجاد على:

• تغيير ثقافة المجتمع نحو المرأة من خلال منع كافة أوجه الإساءة التي توجه للمرأة المصرية وتصحيح الصورة الذهنية التي تشكلها وسائل الإعلام عن المرأة المصرية؛

• تبني كافة فئات المجتمع لتمكين المرأة كمسؤولية جماعية، وتشجيع المشاركة في تحقيقها وخاصة من قبل الرجال والشبان.

• مساندة المرأة في الحصول على حقوقها القانونية كاملة ودون إبطاء، مع إعطاء اهتمام خاص للمرأة المهمشة والفقيرة والمعاقة، وتعديل قوانين الأحوال الشخصية بالصورة التي تضمن حصولها على حقوقها وتعظم فرص زيادة الترابط الأسري؛ تجديد الخطاب الديني فيما يتعلق بدور المرأة في المجال العام وأهليتها لتقلد المناصب العامة، وذلك في إطار تحديث الخطاب الديني وجعله أكثر استجابةً لمتطلبات العصر.

و بمناقشة أعمال النسخة الثالثة من قمة المرأة المصرية ٢٠٢٤ ومنتدى الخمسين مرأة الأكثر تأثيرًا على مستوى مصر "Top ٥٠ "Women وجدنا فى قمة المرأة المنعقدة على مدار يومين ٣و٤ مارس ٢٠٢٤ الماضيين، أن هناك إجراءات تمكين المرأة حقيقية على أرض الواقع ، وتنفيذ دورات تدريبية وتأهيلية للمرأة العاملة وحديقة التخرج من أجل بناء جيل مواكب للتطورات الحالية والمستقبلية وتحسين القيادة المهنية للمرأة، بالإضافة إلى إطلاق ملتقى التوظيف الأول لتمكين المرأة المصرية، واطلاق النسخة الأولى من معرض نساء مصر، واطلاق العديد من ورش العمل وبرامج التدريب للخريجات والطالبات للتأهيل لسوق العمل وبناء كوادر مؤهلة .

حيث ارتفعت نسبة تمثيل المرأة في البرلمان لتصل إلى ٢٢%، وفي مجلس الشيوخ ١٤%، وفي مجلس الوزراء٢٠%، وفي المجلس القومي لحقوق الإنسان ٤٤% ، فيما بلغت نسبة تمثيل المرأة في السلك الدبلوماسي ٦٢% ، و تشغل (١٩٨٨) سيدة منصبا في النيابة الإدارية من إجمالي (٤٦٣٥) منصبا و(٦٧٧) منصب مستشارة لرئيس هيئة قضايا الدولة ، و٣٧ سيدة في منصب مستشارة بهيئة قضايا الدولة بالإضافة الى ٦٦ سيدة شغلت منصب قاضية . ولأول مرة تشغل المرأة المصرية منصب نائب محافظ البنك المركزي ، كما شغلت منصب أول رئيس لمحكمة اقتصادية، وأول مستشارة لرئيس الجمهورية للأمن القومي.

فى الحقيقة شهد ملف تمكين المرأة المصرية وحصولها على حقوقها كاملة تقدما هائلا، عبر العديد من الامتيازات غير المسبوقة، فلم يعد هناك سقفا لطموحها لاسيما فى ظل وجود إرادة سياسية مساندة، في ظل حكم الرئيس السيسي ، فتحت للمرأة آفاق جديدة لم تتاح لها من قبل، مهدت لها الطريق لمشاركة واسعة النطاق فى كافة القطاعات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، إيمانا من الرئيس بأهمية دور المرأة ودعمها وحرصا منه على منحها الفرصة التى تستحقها لإثبات ذاتها ومكانتها وقدرتها على العمل والكفاح من أجل مستقبل ورفعة وطنها. و بالرجوع لأعلى الصفحة حيث يستقر عنوان المقال " نقر الطبول من أجل المساواة" و الذى يعبر عن إيقاع تفاعلى مفعم بالحركة و النشاط الفعال لإحدى جوانب فعاليات النسخة الثالثة من قمة المرأة المصرية ٢٠٢٤ و أكدت القمة أن تنظيم هذه الورشة جاء لبث بعض الرسائل المهمة، وعلى رأسها المساواة بين الجنسين ومناهضة جميع أشكال العنف الذي تتعرض له المرأة، والتأكيد على دورها كشريك أساسي في النهوض بالمجتمعات. وأشار اختيار عنوان الورشة إلى أن الفنون هي هوية الشعوب، فهى تحمل بين طياتها جميع الرسائل التي نريد إيصالها ، كما تستخدم في كثير من الأحيان للمطالبة بالحقوق والتعبير عن الرأي، ولا تخلو حضارة من لغة الطبل في تراثها.



أفيديك إساهاكيان

شاعر الحداثة والبساطة

بقلم: عطا درغام

حياته ونشأته

ولد في الكسندروبول (كيومري) في ٣٠ أكتوبر ١٨٧٥، كان جده، نيكوچايوس إيشاكيان ، في الأصل من مدينة بايازيت التاريخية في أرمينيا ، لكنه انتقل مع عائلته واستقر في الكسندروبول، ولد والده ساهاك بالفعل في كيومري ، وأمه ألماست چلتشيان ، من جارس ، واعتبر إساهاكايان نفسه من مواطني كيومري، وبصورة أدق، "مواطن آني". نشأ في أسرة متواضعة ومزدهرة، وقضى طفولته في المدينة وقرية جزارابات ، حيث كان لدى والده طاحونة ومزرعة، وكان الطفل مفتونًا بالينابيع المنمقة في موطنه الأصلي ، وحقول القمح الخصبة ، والصفصاف الباكي، والوديان المشتعلة بالزهور الملونة، كما جذبته الأفراح الشعبية البسيطة والأعياد الوطنية والألعاب والحياة الملونة والألحان المحلية والأغاني والموسيقى فأوجدت انطباعات الطفولة مكانًا في كلماته، وبعد عشر سنوات، تذكر الشاعر بشوق أيام حلم طفل فلاح.

عندما كُنت طِفلاً ، مع أصدقائي في حقول القرية ، ركبنا شيبوتس المزهرة كخيل ، كنا نجلد ونركض بجنون، إلى عوالم حكايات خرافية بعيدة ، وكنا نتجول ، ساحرة وساحرة ، من بين تلك الأماكن – مجهول ، مجهول.

تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الدينية التابعة لكنيسة المخلص في الكسندروبول ١٨٨٥ ،و لمدة عام في المدرسة الروسية الحكوميةفي ألكسندروبول ، ثم انتقل إلى



مدرسة ديرهاريتشي ، التي أصبحت " الباب الأمامي لمدرسة جيفورجيان" لأفيتيك، وفي الفترة من ١٨٨٩وحتى ١٨٩٢، درس في مدرسة چيفورچيان، حيث درس مع هوفانيس هوفهانيسيان وستيبان ليسيتسيان وآخرين، وفي عام ١٨٩٣ غادر إلى أوروبا ، وعمل في متحف الأنثروبولوچيا في فيينا وحضر في الوقت نفسه دورات علمية، ثم كان طالبًا حرًا في جامعة لايبزيج بألمانيا، وعاد إلى وطنه عام ١٨٩٥. واعتقل عام ١٨٩٦ لمشاركته في النضال الوطني الأرمني من أجل التحرر وسُجن في سجن يريفان لمدة عام، وفي عام ١٨٩٨ تم نفيه إلى أوديسا، وغادر إلي أوروبا في عام ١٩٠٠، وعاش في جنيف وزيورخ، حيث ودرس الأدب والفلسفة في جامعة زيورخ، و عاد إلى وطنه في سبتمبر ١٩٠١،

وفي ديسمبر ١٩٠٨ ، من بين ١٥٨ مثقفًا تقدميًا أرمنيًا، تم القبض عليه في "قضية الاتحاد" حيث أمضى نصف عام في سجن "ميتيخي" في تفليس ، وأطلق سراحه بكفالة كبيرة ، وغادر إستانبول عام ١٩١١ ، وخلال الفترة من ١٩١٢-١٩٢٦ ، عاش في ألمانيا وسويسرا وإيطاليا ، وكذلك في روسيا واليونان، وفي عام ١٩٢٦ ، نقل عائلته إلى باريس ، وعاد إلى أرمينيا حتى عام ١٩٣٠ .

وعاش في باريس خلال الفترة من ١٩٣٠ وحتى ١٩٣٦، ثم عاد إلي وطنه في ديسمبر ١٩٣٦، واندمج في المجتمع الأرمني وشارك في الحياة الثقافية والعامة المحلية بروح جديدة، وأثناء الحرب الوطنية العظمى، ألهم الشاعر الشعب السوفيتي بقصائده وخطبه، ومقالات للقتال بشجاعة ضد الفاشية ، وخلال الفترة من ١٩٤٧ وحتى ١٩٥٧ كان نائب اللجنة المركزية لجمهورية أرمينيا الاشتراكية السوفيتية .وفي ١٩٤٦-١٩٥٧، كان رئيس اتحاد كتاب أرمينيا ، وانتخب ثلاث مرات نائبًا للمجلس الأعلى لأرمينيا السوفيتية، كما حصل مرتين على أعلى جائزة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية – وسام لينين.أحب إساهاكيان الأطفال كثيرًا، وكان سعيدًا وفخورًا بهم؛ إذ تلقى عددًا من الرسائل من الأطفال الأرمن الذين يعيشون في الخارج ، وحزن لبعدهم عن وطنهم ، لكنه سعد بهم لأنهم يدرسون في المدارس الأرمنية ، التي تعرفهم على التاريخ، والموسيقى ، كما يتحدثون الأرمنية تمامًا. وبقرار من مجلس وزراء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية في عام ١٩٨٠ ، تم إنشاء جائزة أدبية سنوية تحمل اسم أفيديك إساهاكيان ، وكذا تم تصوير صورته على الأوراق النقدية من فئة ١٠٠٠٠. وفي العامين الأخيرين ، أصيب بنوبة قلبية والتهاب رئوي، إلي أن توفي في ١٧ أكتوبر ١٩٥٧ في يريفان إثر أزمة قلبية ، ودفن في مقبرة كوميتاس

النشاط السياسي

وعندما عاد إلى أرمينيا الشرقية تفرغ للنضال السياسي إلى جانب أنشطته الأدبية ، وشارك أيضًا في الأنشطة السياسية، ففي عام ١٨٩٥ بعد عودته من ليبزيج، انضم إلى لجنة الكسندروبول، وشارك في إنشاء مجموعات مسلحة مرسلة من الكسندروبول إلى أرمينيا الغربية، وكذا في شراء الأسلحة والأموال وانضم إلي حزب" الطاشناق" أقدم الأحزاب السياسية الأرمنية، واعتقل في عام ١٨٩٦ بتهمة المشاركة في النضال الوطني الأرمني من أجل التحرر، وقضى سنة في سجن في يريفان، وبعد ذلك تم نفيه إلى أوديسا.

وفي الكسندروبول في عام ١٩٠٢، انخرط في النضال الثوري ضد الحكومة القيصرية ، وفي عام ١٩٠٨ حيث قبض عليه مرة أخرى ، ومكث ستة أشهر في سجن "ميتيخي" جنبا إلى جنب مع ممثلي المثقفين الأرمن. وفي عام ١٩١١ ، قررت السلطات الروسية على طرده من أراضي الإمبراطورية الروسية ، واضطر الشاعر إلى مغادرة البلاد واستقر في ألمانيا، في بداية الحرب العالمية الأولى ، وفي عام ١٩١٩، شرعت مجموعة من أعضاء "الطاشناق" على خطة الانتقام أطلق عليها "عمليات نيميسيس" التي قام خلالها شبان أرمن بتصفية القادة الأتراك المسؤولين عن الإبادة الجماعية الأرمنية، وتم توكيل إساهاكيان بتنفيذ مهمة تعقب طلعت باشا في برلين وتزويد صوغومون تهلريان (الذي سينفذ العملية) بالإمداد المطلوب لتصفية طلعت عند تنفيذ عملية الاغتيال في ١٥ مارس ١٩٢١، وقف إساهاكيان في نهاية الشارع وبيده مسدس لحماية تهلريان في حال فشل العملية، وتمكن تهلريان من قتل طلعت برصاصة اخترقت جبهته.

وشرع الشاعر في تأليف الكتاب الأبيض، وهو لائحة اتهام للإبادة الجماعية للأرمن ، وكُتب جزء كبير منه في الفترة من ١٩١٥وحتى ١٩٢٢.

إبداعه الأدبي

في أعماله، ترتبط قضايا السيرة الذاتية للناس ارتباطًا وثيقًا بالظواهر المعقدة والمتناقضة للعصر، اختبر الشاعر بألم الوضع التاريخي والاجتماعي للشعب الأرمني. ومن أجل تأكيد وتعزيز وجود شعبه ، بحث عن الدعم الاجتماعي والسياسي، وفي نفس الوقت الذي كان فيه شعرًا غنائيًا عالي الجودة وشعرًا وطنيًا ، كتب قصائد الاحتجاج والتمرد والقصائد الفلسفية ذات التفكير، واشتهر بقصائده الغنائية القصيرة التي استلهم فيها الأساليب التعبيرية لشعراء القرون الوسطي، يُقرنها بالتأملات الفلسفية أحيانًا.

ارتبط عمله الإبداعي المليء بالإنسانية والاحترام الكبير لكرامة الإنسان ارتباطًا وثيقًا بتاريخ وثقافة الشعب الأرمني ، حيث يحتضن أفضل تقاليد الأدب الروسي والعالمي. وصفه الشاعر الروسي أ. بلوك بأنه "شاعر من الدرجة الأولى ، حديث وبسيط ، ربما لا يمكن للمرء أن يجده في أوروبا بعد الآن". وتُعد مذكراته ومقالاته الأدبية والنقدية مرجعًا أدبيًا ذا أهمية كبيرة لدى الأدب الأرمني الحديث، وتُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات، كما استُخدمت قصائده كنغمات لأغاني جديدة.

دخل إساهاكيان الساحة الأدبية عام ١٨٩٢،إذ نشرت مجلة "طرز" قصيدته "كنت زهرة في مهدها"، وفي محاولة لإعطاء دفعة جديدة لإيقاظ نضال التحرير في نهاية القرن التاسع عشر جاءت قصيدته الملحمية "ماسيسا مانوك" مغلفة بأسلوب وروح الملحمة القومية الأرمنية، ولكنها تُعطي معنى للتاريخ أحداث ذلك الوقت. وفي عام ١٨٩٧، نُشرت له أول مجموعة شعرية بعنوان "أغاني وجروح" التي تحتوي علي قصائد:("جنيتي" ، "كنت زهرة حديثة النفاخ" ، "هل تريدين أن أكون ندى حزنًا؟ " "شوشان عذراء ، أنا عبدك")، وكان هذه المجموعة بمثابة بداية لعمله الأدبي وإيمانه به، وتم تحويل عدد منها

كتب قصائد "هايدوك" تحت اسم مستعار، ونُشرت في مجلة "دروشاك" منذ عام ١٨٩٩، ومن بين الأعمال المهمة لها "في الذاكرة الخالدة لأفيديك مالويان" ، "في ذكرى سيروب" ، "أعطني مكانًا ، جبال سيبان" ، "في وديان سالنوي ، في أودية الغراب ..."،" مرحبًا ، يا عزيزي ، كم أنا جميل "..." ، "أوركان أكبر ، غاز سارين كو..." ، "استيقظ ، الناس" ، "باشيرن أليساب ، باشيرن فيناكوتس."..

وجاءت روايته الواسعة النطاق" أستاذ كارو"، التي رافقته دائمًا في حياته الإبداعية ، ولعبت دورًا كبيرًا فيها، إذ تُعتبر من أكثر الظواهر تشويقًا وتعقيدًا في الفترة الجديدة من النثر الأرمني.

لعبت موضوعات الحب والشهوة ، والحب تجاه الوطن الأم وحب الأم من العناصر الرئيسية في شعره فوجد وجد جمال الطبيعة المحلية والأساطير والحلم والحب تعبيرها الفريد في قصيدة "أغاني للأجيال"١٨٩٥-١٩١٧.

وجاءت قصيدته الشهيرة " أبو العلاء المعري" التي كتبها عام ١٩١٠ ، وصور فيها هروب الشاعر من بغداد مشمئزًا من دناءة الإنسان ورحلته في الصحراء نحو الشمس التي ترمز للنقاء والعدل هو حامل مأساة الفرد ، الآلام والمعاناة الإنسانية، ويصطدم الوجود الاجتماعي للزمن مع القوانين الطبيعية لحياة الإنسان ومع ذلك، فإن المشاعر المتناقضة لبطل القصيدة، واشتداد المرارة لا تؤدي أبدًا إلى انهيارات ميؤوس منها ، بل يقابلها أقوى مزاج ، الدنيوية ،وروحه البحثية مدفوعة إلى "بعيد ساحر".

وانعكس مفهوم تصور العالم ، وأفكاره حول موطنه الأصلي ، والحياة البشرية ، والحب ، والوقت والمسافة ، اللانهائية من الكون وجدت انعكاسها في أعماله مثل: "قلبي هناك" ، ١٩٠٦ ،"الانتقام والكراهية بلا حدود ، ١٩٠٨ ، "أناندا والموت" ، ١٩٠٨ ، "الحب الأبدي"

، ١٩١٤ ، "مهر ساسون" ، ١٩٢٢ ، "ربيع السعدي الأخير" ، ١٩٢٣ ، "رأيت فتاة سوداء الحواجب ، ١٩٢٥ ، "في رافينا" ، ١٩٢٦ ، "أنبوب الصبر" ، ١٩٢٨، واستمد مواضيع ملاحمه من تراث الشعوب في الشرق والغرب كما في: "الحب الأبدي" ١٩١٩، "قلب الأم" ١٩١٩و"ليليت"١٩٢١، وفي "قلب الأم" يصور بإحساس عميق مدى تناقض الطبيعة الإنسانية ؛ لأننا نتألم لمدى ظلم وقساوة الابن تجاه أمه، وبالعكس نجد في الجانب الآخر صورة موقف الأم الحزينة والمثقلة بالتأوه تجاه ابنها لما اقترفت يداه من جريمة بشعة، فهي تصوير لأنانية وقسوة العالم الخارجي.

صور الإبادة الجماعية الكبرى للأرمن التي ارتكبها العثمانيون عام ١٩١٥، وعكس فيها المصير المأساوي للشعب الأرمني ونضاله البطولي من أجل الحرية؛ إذ شرع في تأليف "الكتاب الأبيض"، والذي تم تضمين جزء كبير منه في سجلات "الذكرى" لعام ١٩١٥-١٩٢٢، وتضمن قصائد: " لقد جاء الثلج وغطّى الآن" ، "إلى أرمينيا" ، "عاد الربيع مرة أخرى" وهي نتائج المشاعر الشديدة للإبادة الجماعية.

ونشر مقالات تتناول المسألة الأرمنية، ومشكلة إعادة توحيد أرمينيا ، واستعادة الدولة الأرمنية، وفي عام ١٩٢٦ ظهرت له في أرمينيا السوفيتية مجموعات القصائد الجديدة ؛ حيث عبَّر عن فكرة خلود الوطن الأم إلى أعظم تعميم في قصيدة "في رافينا" (١٩٢٦)، وأثري القصة القصيرة الأرمينية بإبداعاته من خلال "صبر شيبوخ" ، "محراث الأب" ، "على القبر" وأعمال أخرى. كما كتب أعماله الشهيرة "مؤرخونا وعمالنا" عام ١٩٣٩ ؛ "إلى وطني الأم" عام ١٩٤٠ ؛ "الأدب الأرمني" عام ١٩٤٢ ؛ "ساسنا مهر" ١٩٣٧.

وخلال الحرب العالمية الثانية (١٩٤١-١٩٤٥) كتب قصائد وطنية وأخري ذات طابع سياسي مثل "قلبي على قمة الجبال" ، ١٩٤١ ؛ "إلى الذاكرة الخالدة للأمين العام زاكيان ،" ١٩٤٢ ؛ و"أغنية الشعب "، ١٩٤٣ ، و"يوم النصر العظيم" عام ١٩٤٥، حيث مجد انتصار الشعوب السوفيتية وشهداءها وغيره الكثير.

الرمزية في شعر إساهاكيان

في قصيدة " الحياة حلم"، صورة مألوفة من الطبيعة، حيث صور شجرة الصفصاف المنحنية علي الغدير، يجعلها الشاعر مادة للتأمل، والشاعر يري مفارقة بين حزن جو الصفصاف ومرح الغدير، بل يري المفارقة بين من يتأمل الحياة؛ فيمتلئ بالحزن ومن يعيش بلا أمل فيجري مرحًا. المتأمل يمتلئ بالحزن لأنه يري أن أي شيءٍ لا يدوم، أما غير المتأمل فيذهب إلي نهايته الحتمية التي يجهلها- إلي فنائها- بفرح، والعلاقة بين المتأمل وغير المتأمل غير متبادلة ، فالأول يري الثاني ويدرس أحواله، أما الثاني فهو يجهل وجود الأول ، ولا يلتفت إليه. الأول يفجع لمصير الثاني، أما الثاني فلا يعي مصيره. والمتأمل هو فرد واحد ، أما غير المتأمل جموع الناس التي لا تنتهي.

وفي قصيدة "خلود" الجبل رمز الخلود، وجبل "آرارات" رمز لخلود الشعب الأرمني. فالأجيال المذعورة من الموت (من بطش الأعداء المعتدين) تنظر إلي القمة إيمانًا بأنها تموت قد تموت ولكن الشعب لن يموت ،أما حياة الفرد فهي لحظة مقارنة بخلود الجبل ، فليرتق بنفسه بالنظر إلي الجبل الخالد؛ أي الإيمان بخلود الشعب، وفي قصيدة "جدل" يتناول الجدل بين الحتمية والصدفة، والحتمية أن تموت ويوضع حجر علي مقبرتك؛ ليغدو ضريحًا والصدفة أن تجلس علي نفس الحجر أثناء حياتك دون أن تدري. فجأة يصبح للحجر الذي سيغدو ضريحًا له بعد موته أهمية كبيرة بالنسبة للشاعر الذي ربما قد أنهي رحلة حياته أو هكذا يشعر. ولكن هذا الاهتمام بذلك الحجر المجهول يوازيه إدراك أنه قد فاته تملك ذلك الحجر عندما جلس عليه بدون أن يدري قبل سنين؛ فالحجر الذي استراح عليه الشاعر من أحزانه سوف يكون شاهدًا أبديًا لخلاص الشاعر وأحزانه.

نماذج من شعره

خلود

مثل ثوانٍ عبرت القرون ... فوق قمة جبل آرارات العتيقةِ ... ومضت... صواعقٌ بلا عددٍ... تكسرت سيوفُها علي الماسِ الثلجي ... ومضت... والآن حان دورُك للحظةٍ... فانظر إلي الجبهةِ الشامخةِ

حجر

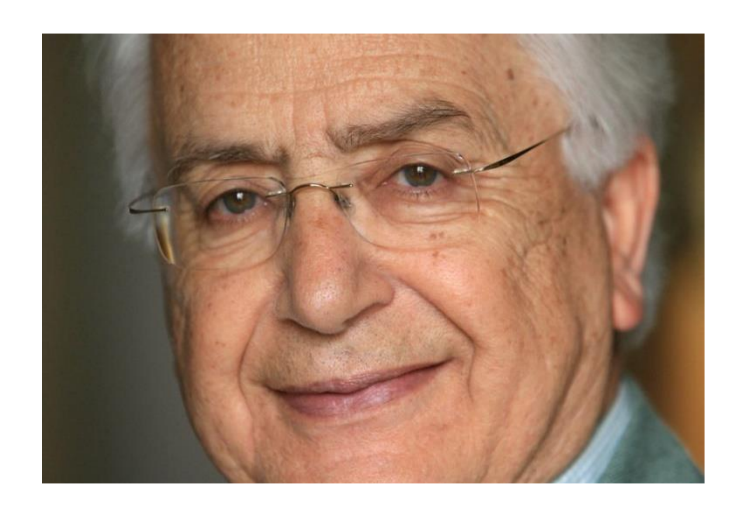
يا تري أين يكمن الآن... ذلك الحجر الذي سيغدو ضريحي... كيف لي أن أتأكد ... أنني لم أجلس حزينًا... خلال حياتي أنا الهائمُ ... فوق ذلك الحجر



محمد أركون وقراءة في كتابه نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية

بقلم: هدير مسعد

محمد أركون هو المفكر والناقد للعقل الإسلامي، كان حداثياً جريئاً في انتقاده للخطاب الديني من النصوص وأصول الفقه الإسلامي، يؤمن بالتجديد، اتهمه خصومه بالإلحاد مرة وبالكفر مرة أخرى. ولد المفكر والمؤرخ الجزائري محمد أركون عام ١٩٢٨ بقرية تاوريرت ميمون في منطقة القبائل الكبرى، بالجزائر في أسرة أمازيغية، بعد انتهاء تعليمه الابتدائي سافر اركون مع والده الي قرية "عين الاربعاء" شرق وهران، والتحق هناك بمعهد يشرف عليه الآباء البيض بولاية وهران (١٩٤١-١٩٤٥) حيث تعرف على القيم المسيحية، وتمكن من الاطلاع على الثقافة والأدب اللاتينيين، ويحكي أركون عن نفسه بأن قرية عين الأربعاء كانت غنية بالمستوطنين الفرنسيين وأنه عاش في هذه القرية "صدمة ثقافية" كانت لها دور كبير في تشكيل فكر وشخصية أركون فيما بعد، أما دراسته الجامعية فكانت بدءًا بكلية الآداب بجامعة الجزائر حيث درس الأدب والفلسفة والقانون، ثم التحق بجامعة السوربون بفرنسا بناءً على توصية من المستشرق لويس ماسينيون، وفيها نال درجة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٦٩. عمل أركون أستاذا في عدد من الجامعات العالمية مثل جامعة السوربون عام (١٩٦١-١٩٦٩)، وجامعة ليون (١٩٧٠-١٩٧٢)، جامعة برلين (١٩٧٧-١٩٩)، وجامعة كاليفورنيا (١٩٦٩)،



وجامعة برنستون (١٩٨٥)، وجامعة نيويورك (٢٠٠١-٢٠٠٣). وكان لمحمد أركون العديد من المؤلفات التي كتب قسم كبير منها بالفرنسية أو اللغة الإنجليزية وترجمت إلى العربية، ومنها نذكر: "نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية"، "الفكر العربي"، "الإسلام بين الأمس والغد"، "تاريخية الفكر العربي الإسلامي"، "الفكر الإسلامي قراءة علمية"، "الإسلام، الأخلاق والسياسة"، "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"، و "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"، "نزعة الأنسنة في الفكر العربي"، "معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية"، "قضايا في نقد العقد الديني"، و "العلمنة والدين الاسلام المسيحية الغرب" و "من الاجتهاد الي نقد العقل الإسلامي". هذا فضلا عن مقالات ومحاضرات عدة ومشاركات في ملتقيات وندوات علمية دولية.

وجدير بالذكر أن أول كتاب وضعه محمد أركون كان بعنوان "الفكر الاصلاحي لطه حسين" وقد وضعه اركون عندما كان طالبا بجامعة الجزائر بدافع رغبته الشديدة في أن يفهم ويقدم إسهام عميد الادب العربي في تحديث الخطاب الاسلامي وتحديد مفهوم الدين ووظائفه في المجتمع، وكان ذلك في بداية خمسينات القرن العشرين، وقد رحل محمد أركون عن عالمنا عام ٢٠١٠ ودفن بمقبرة الشهداء في العاصمة المغربية الرباط احتراما لوصيته وتنفيذا لما جاء فيها.

رؤية تاريخية ونقدية لكتاب محمد أركون

أما عن الكتاب الذي نحن بصدد قراءة ومحاولة تفكيك طبقاته المعرفية. والذي هو بعنوان "نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية"، فقد صدر هذا المؤلف عام ٢٠١١، أي بعد وفاة أركون بعام واحد، وهو الكتاب الوحيد الذي أصر أركون على مراجعته شخصياً قبل دخوله الي المستشفى قبل الوفاة كما قال مترجم الكتاب هاشم صالح. ويحتوي الكتاب على ستة فصول:

الأول: المسألة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، والثاني: التفكير في الفضاء التاريخي المتوسطي، والفصل الثالث جاء بعنوان الوسطاء الثقافيون الثلاثة وهم ابن رشد وابن ميمون وتوما الأكويني، فيما كان الفصل الرابع عن صورة الآخر: التشكيل المتبادل الصورة الإسلام والغرب، أما الخامس فقد تحدث به أركون عن علاقته بيواكيم مبارك ولويس ماسنيون، بينما كان الفصل السادس والأخير عبارة عن مقابلتين مع أركون. أما عن سبب اختيار أركون أن يخصص الفصل الخامس ليواكيم مبارك "الشرقي" واستاذة لويس ماسنيون "الغربي"، فهو ليوضح علاقة الاستاذ بتلميذه على الرغم من اختلاف الثقافات بينهم، وقد كان اركون متأثرا بفكرهم بشكل كبير.

ويرتكز الكتاب على محور مهم وهو دراسة قضايا الحاضر الراهن من خلال ربطها بجذور التراث البعيدة"، وهذه هي منهجية أركون الشهيرة باسم المنهجية التقدمية – التراجعية بمعني أن يُسلط أضواء الماضي على الحاضر وأضواء الحاضر وأضواء الحاضر على الماضي من خلال استخدام المنهج المقارن بهدف أن يضئ الماضي والحاضر في آن واحد. فنحن لم نفهم حاضر العرب والمسلمين جيدا ما لم نفهم ماضيهم جيدا ايضا. كما نلاحظ في هذا الكتاب أن أركون اعتمد على فكرة "النقد المزدوج" وهي تعني دراسة العقل الإسلامي والعقل الغربي معًا، بمعني أنه يدرس وينتقد التياران الغربي والاسلامي معاً لمعرفة أوجه القصور والخلل بهدف حلها وليس بهدف عمل مقارنة بينهم.

كما كان أركون بارعاً في التنقيب عن جذور المسائل الخاصة بالأصولية والطائفية والمذهبية، وسبب موت الفلسفة وانهيار حضارة العصر الذهبي الكلاسيكي للعرب وسبب الصراع المتواصل مع الغرب، وقد ذهب بنا أركون في كتابه إلي أن السبب الرئيسي في هذا الانهيار هو ما عرف بمصطلح "الدوغماتية" الذي يعني احتكار العقل لتفسيرات محددة داخل الدائرة الاصولية أو الفقهية، فقد انحصر الفكر الاسلامي على أصول الفقه والتفسير الذي كان موجود منذ القرن الرابع الهجري دون أي تجديد فيه منذ ذلك الوقت، لذلك طالب أركون في كتابه بضرورة نقد العقلية الاسلامية وتحررها من الجمودية في الفكر، وهذا التحرر سوف يأتي عن طريق الاعتماد على جميع العلوم الانسانية مثل علم الاجتماع وعلم النفس والجغرافيا وغيرها من العلوم، لفهم وتفسير أي نص يأتي أمامنا سواء نص ديني أو تاريخي أو أيا كان، ونقده وإعمال العقل به وعدم الأخذ به من المسلمات.

كذلك يري أركون أن الخطاب الديني يلعب اليوم دوراً اساسياً ويُساهم في الحفاظ على التوازنات النفسية والاجتماعية، وهو ما يحتم علينا قراءة الرسالة القرآنية قراءة جديدة وموضوعية بعيدة عن المسلمات والثوابت الممزوجة بما هو أسطوري أو تاريخي ومحاولة دراسة المحظور التفكير فيه ضمن الفكر الإسلامي. ويمكن القول أن المنهج الذي ارتاه أركون الدراسة الخطاب الديني هو منهج التحليل والتفكيك، وليس الهدف منه هو هدف عقائدي تبجيلي كما الحال عند المؤمنين، ولا إلحادي ناكر للدين كما يفعل المستشرقون، بل كما يقول أركون نفسه إن تحليل الخطاب الديني أو تفكيكه يتم لا لتقديم معانيه الصحيحة وإبطال التفاسير الموروثة، بل لإبراز

الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والاقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة بما أسميته الخطاب النبوي. وهذا يعني أن التفكيك والنقد عند أركون لا يؤديان أساساً إلي استخراج أي معني يشفي فضول القارئ وينزع عنه حجاب الأوهام التي دامت قرونا من الزمن، وليس من مشمولات عمله نقد التفاسير القديمة وإظهار بطلانها، بل إن أركون أعلن أن هدفه يقتصر فقط على إبراز الصفات اللسانية اللغوية للخطاب النبوي وهو يعني القرآن الكريم.

تكلم أركون في كتابة عن المنهج المقارن ودعي إلي ضرورة تبني منهج مقارن بين الأديان السماوية، ولكنه لم يشير إلى كيفية تطبيق هذا المنهج، فكان مؤلفة عبارة عن عرض مقارنة بين نظريات تأملية قام بها بعض مفكري الأديان التوحيدية الثلاث فقط. فهو في هذا الكتاب يدعو لتبني المنهج المقارن ولكنه لا يعقد مقارنة بين الأديان، فمؤلفة عبارة عن دعوة مبنية على التمني فقط بأن تكون قراءتنا للدين قراءة عقلية نقدية تاريخية مستفيدين من علم الاجتماع ومنهجيات التأويل، فنحن اليوم أحوج ما نكون الي تحديث الاسلام لا أسلمة التحديث، وليست قراءة عاطفية وجدانية، معتمدين على مقارنة الديانات الثلاث ببعض حتى نفهم معتقداتنا ومعتقدات الآخرين. وقد استشهد أركون بمثلين في هذا الصدد المثل الأول بعض آيات من الانجيل تحس الناس على الحرب المقدسة لنصرة المسيح وقتل كل من يخالف الدين وتعاليم المسيح، والمثال الثاني بعض آيات من القرآن تدعو المؤمنين ان يحاربوا المشركين وكل من يخالف الدين الاسلامي وذلك بعد انقضاء الأشهر الحرم، وهنا يقول أركون إذا لم نفسر القرآن الكريم تفسيرا تاريخيا ونربطهم بسياق تاريخي محدد فمعني ذلك اننا سنظل مسجونين داخل فكرة الحروب الدينية الي الابد وسوف نظل نذبح بعضنا البعض الى قيام الساعة. والفكرة المحورية التي يرتكز عليها أركون ويتبناها ويدعوا لها في مؤلفه هي، نقد التراث الاسلامي نقد تاريخي بعيد عن التجريد، فيقول إن مشروعي في نقد العقل الاسلامي، فأنا أهدف إلي نقده بطريقة تاريخية وليس بطريقة تأملية تجريدية.

الطبعة الثانية

محمد أركون

نزعة الأنسنة في الفكر العربي

جيل مسكويه والتوحيدي



ترجمة هاشم صالح



النزعة الانسانية وأثرها :

ناقش أركون في كتابه سبب انطفاء التنوير العربي الاسلامي بعد إشراقة رائعة في القرنين الثالث والرابع الهجري بشكل خاص ثم في الأندلس وقرطبة لاحقا في القرن السادس الهجري، ثم بعد ذلك عم الظلام الأمة الإسلامية بأكملها وبجناحيها الغربي والشرقي، ولا نزال نعاني من ذلك حتي الآن. وقد ذهب أركون بقوله إلى لقد ماتت النزعة الانسانية في العالم الاسلامي عربيا كان او غير عربي، وسيطرت النزعات القومجية والأصولية المتطرفة على الجماهير العربية. ومعني ذلك انه أصبح هناك خطرين يتهددان النزعة الانسانية في مجتمعنا وهم التعصب القومي العرقي" و "التعصب الديني"، واحيانا يختلطان فتجد لدي الشخص نفسه تعصبا قوميا ودينيا على حد سواء. وهذا لا يعني أن النزعة القومية مدانة في المطلق ولا كذلك النزعة الدينية، فالعربي يحق له أن يفتخر بعروبته وأصالته وتراثه وآدابه ولغته، وبالتالي فالنزعة أو العاطفة القومية شعور نبيل ومشروع. ولكن بشرط ألا تتحول إلي احتقار أو نفي للأخرين او حتى محاولة طمسهم وسحقهم سياسياً وإنسانياً، ولكن للأسف مجتمعاتنا العربية تُعاني من ذلك حالياً، ويري أركون الحل في أنه لو رجعنا إلي مفهوم النزعة الانسانية وفهمنا معناه فسيكون هو درع الحماية من التعصب والتطرف الذي نحن فيه الآن. كما تطرق أركون إلي أمر مهم وهو أن هناك نزعتان انسانيتان النزعة الأولي هي النزعة الانسانية الدينية، والثانية هي النزعة الانسانية العلمانية. ونلاحظ أن النزعة الإنسانية الدينية تعني أن العقل اللاهوتي هو الذي يبلور النواميس الأخلاقية الفقهية التي تنظم علاقات البشر فيما بينهم داخل المجتمع،

ولقد قطع عصر التنوير علاقته بهذا الاعتقاد اللاهوتي عندما كسر تلك العلاقة التي تربط المخلوق المطيع بالله الخالق الجبار، وأعلن أن الإنسان أصبح ذاتاً سيدة مستقلة في عصر العلم والتكنولوجيا واختراعات الحداثة التي تبهر الأبصار، لقد قطع فلاسفة التنوير الحبل السري مع اللاهوت القروسطي المسيحي، وانتقلت أوروبا من تلك اللحظة من النزعة الإنسانية الدينية المتدينة اللاهوتية إلي النزعة الانسانية الفلسفية أو العلمانية، وهنا تكمن القطيعة المعرفية الكبرى للحداثة .

وفي حوار تليفزيوني لأركون، وضح لنا مفهوم النزعة الإنسانية أو الأنسنة – "Humanism – والذي يفتخر بأنه أول من اخترع هذا المصطلح في الفكر العربي – بقوله هو كل ما يتعلق بالإنسان كإنسان وكل ما يتعلق بكيفية تعرفه على نفسه من خلال الأدب والفلسفة والدين والثقافة والجغرافيا. فهو مفهوم أوسع وأشمل من مفهوم الدين، وإن الديانات السماوية لا يجب الاعتماد عليها فيما يخص قوانين الانسان وتعاملاته، فقد قام الفلاسفة التنويرين في أوروبا بتفكيك المعتقدات الكنسية القديمة وبنوا على أنقاضها مفهوم حقوق الانسان بالمعني الحديث للكلمة. ويستكمل أركون حديثه، أن مفهوم "الوطنية" بالمعني الحديث للكلمة هو غير موجود عندنا حتى الآن، فالشيء الموجود هو شخص ينتمي غصبا عنه إلي طائفة معينه أو مذهب معين أو قبيلة أو دولة معينة ولا يوجد بالتالي شخص فردي كما هو الحال عليه في الغرب، والإنسان لا يتم تقييمه من خلال ميزاته الشخصية بقدر ما يقيم من خلال انتماءاته السابقة عليه والتي لا حيلة له بها. ولذلك يقول العلماء بأننا تنتمي الى مجتمعات ما قبل الحداثة لا إلى مجتمعات الحداثة، وذلك على عكس دول أوروبا الغربية المتطورة .

الفرق بين المحافظين والمبدعين

يقول أركون إن المبدع في كل العصور، هو المنفتح على الآخر وليس المنغلق على ذاته، وأن الانغلاق على الذات لم يولد أبداً إبداع، فلولا أن فكرنا غزا أوروبا في القرون الوسطي لما حصلت أوروبا على النهضة. ويقارن أركون بين المحافظون العرب في الماضي ورفضهم للانفتاح على الثقافات الأخرى آنذاك مثل الحضارة الفارسية والرومانية، وبين المحافظون العرب اليوم ورفضهم أيضًا الانفتاح على الثقافات الأوروبية والأخذ منها. ولكن لحسن الحظ استطاع بعض كبار المبدعين العرب اتخاذ موقفاً مغايراً عن موقف المحافظين قديمًا وحديثًا، فقديمًا استطاع ابن المقفع والجاحظ والتوحيدي ومسكويه وابن سينا وابن رشد والفارابي رفض اتباع المنهج المحافظ، ولو لم ينفتح هؤلاء المبدعين على العلوم الدخيلة من اليونانية والفارسية لما استطاعوا إبداع جميع هذه المؤلفات العظيمة. وكذلك في الحاضر لو لم ينفتح طه حسين والعقاد ونجيب محفوظ والمنفلوطي وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ومحمد مندور وأحمد أمين وغيرهم على الغزو الفكري لأوروبا، لما استطاعوا ابداع كل ما أبدعوه. وقد كان أركون محقا في ذلك لأنه لولا الاطلاع على الثقافات والحضارات وتاريخ الشعوب الأخرى لما استطاع الانسان أن يوضع في مقارنة وتحدث له صدمه من اختلاف الحضارات ومن ثم يستطيع أن يبدع ويحلل ويترجم كل ما يشاهده الي عمل أدبي وتاريخي.

ويطرح أركون سؤالاً مهم حول ازدهار التيار الإنساني العقلاني في العالم الاسلامي قديما؟ ويرجع ذلك إلي عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وقد شكلت جميعها ما يعرف بالأطر الاجتماعية للمعرفة أي الأطر الإيجابية المنفتحة للفكر العلمي والعقلاني والانساني، فالازدهار الاقتصادي على سبيل المثال أدي إلي ظهور فئات راقية مثقفة تحتضن هذا الفكر التنويري. وقد ركز أركون على الأهمية التي لعبها التجار، فقد شهدت طبقة التجار في القرن الرابع الهجري ازدهارا استثنائيا، فكان التجار المسلمون يسيطرون على الخطوط التجارية البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، كما كانوا يسيطرون على الخطوط البدوية في الصحاري عن طريق القوافل. وقد أدى ذلك كله الي تراكم الثروات، وكانت هذه الثروات سبب في جعل هؤلاء التجار يشيدون المكتبات ويصرفون الأموال على جمع المخطوطات والكتب وعلى الاهتمام بالكتاب والشعراء والفلاسفة وعقد مجالس العلم. كل ذلك أدي

الأطر الاجتماعية المناسبة لاستقبال ثقافة دنيوية ذات طابع عقلاني انساني ويمكن القول، إن التيار الإنساني العربي كان من القوة التنويرية بحيث استطاع أركون مقارنته بالتيار الإنساني الذي ازدهر في القرن السادس عشر خلال عصر النهضة بإيطاليا وعموم اوروبا الغربية. واختتم أركون حديثة عن هذه التجربة بقوله "ولهذا نقول بأن التنوير العربي سبق التنوير الأوروبي إلى الوجود، ولكنه أجهض بعد سقوط البويهيين ووصول السلاجقة الاتراك إلى السلطة، على العكس من ذلك ظل التنوير الأوروبي متصاعدا منذ القرن السادس عشر وحتى يومنا هذا دون انقطاع ."

الفلسفة بين الشرق والغرب :

يقارن أركون الفلسفة في العصر الذهبي كما أسماه – منذ القرن الثالث وحتي السادس الهجري- وكيف كانت الفلسفة مقدرة للغاية، وبين اليوم وكيف أن الفلسفة أصبحت محرمة في بعض الدول العربية المحافظة، وأن رجال الدين الاسلامي يحقرها. وفي المقابل نجد أركون يركز على أن ترجمة الفلسفة والعلم الإغريقيين هما اللذان اتاحا الفرصة لتقوية التيار الإنساني العلماني في القرن الرابع الهجري. وأكبر دليل على هذا الكلام هو أن أعمال التوحيدي ومسكويه وكل جيلهم المثقف، تشكل المثال الساطع على التيار الإنسان العقلاني المستنير الذي ازدهر في القرن الرابع الهجري، فقد عرفا كيف يمزجان بين التراث العربي الاسلامي وبين الفلسفة الإغريقية بشكل موفق وناجح. ووضعوها في مؤلفات مثل الهوامل والشوامل، والرسائل الفلسفية لكلا من التوحيدي ومسكويه. فالمنظور الفقهي الديني لا يكفي لفهم الإنسان، ولكن ينبغي أن نضيف إليه المنظور الفلسفي التساؤلي النقدي.

ويمكن القول، أن تأثر أركون بالفلسفة كان واضح تماماً في كتاباته، فهو يرجع أي قرار سياسي في الغرب أو أي حرب يشنها الغرب على الشرق، او حتى نشأة كيانات أوروبية ضخمة مثل الاتحاد الأوروبي إلى الفلسفة وكأنها هي المحرك الاساسي لظهور أو انهيار هذه السياسات. كذلك يدعو أركون الي نبذ العنف والقوة العسكرية لحل المشكلات وتبديلها بحلول سياسية قائمة على الفكر الفلسفي المستنير. فالسبب في نجاح العرب قديماً كان بسبب وجود فلاسفة عظام مثل ابن رشد وابن سينا، وإن سبب فشل العرب وانتكاستهم هو بعدهم عن الفكر الفلسفي ماعدا بعض من المفكرين اللذين استطاعوا الهروب من الفكر المتأخر للعرب والانضمام للفكر الغربي المستنير أمثال طه حسين، وإن سبب نجاح الغرب بداية من عصر النهضة الذي اجتاح أوروبا منذ القرن السابع عشر والثامن عشر كان بسبب ابتعاد الغرب عن العقائد الدينية الجامدة وإتباعهم الفكر الفلسفي المستنير .

ويستمر أركون في دفاعه عن الفلسفة بقوله : لقد غابت عنا الدراسة النقدية الدينية لأن ما ذكرناه ساعد في بناء قاعدة اجتماعية رافضة لمثل هذا النوع من التفكير. ومن يريد ممارسة هذا الشكل من التفكير النقدي عليه أن يختار أوروبا ملاذا له لكي يعبر بحرية عما يريد، حتى صارت الفلسفة بوصفها تعبيرا عن التفكير الحر الناقد في عقول المفكرين والعامة، بينما لدى علماء الدين في مجتمعاتنا العربية أضحت الفلسفة تساوي الزندقة وفقا لقاعدة "من تمنطق فقد تزندق ."

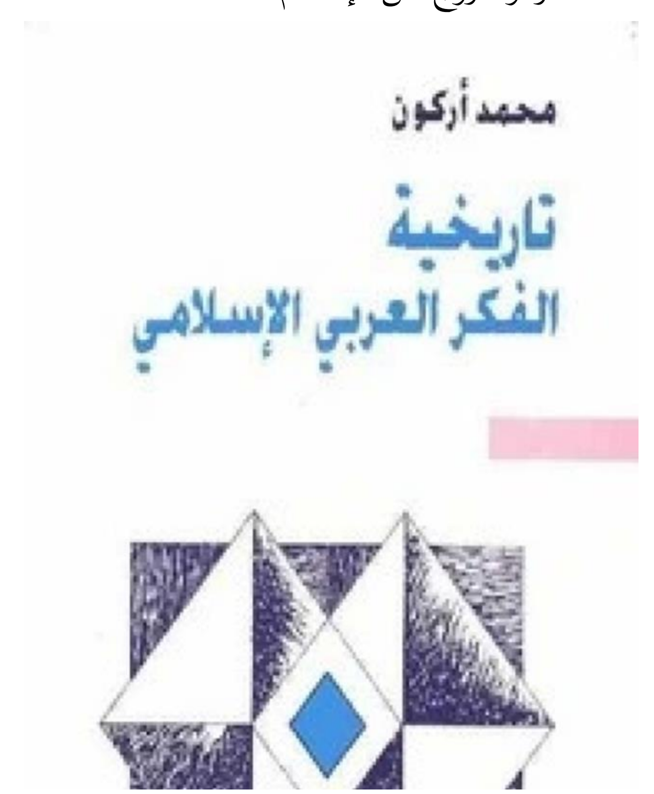
بين كما تميز فكر أركون بمحاولة عدم الفصل بين الحضارات الشرقية والغربية. فقد حاول أركون في كتابه استخدام المنهج المقارن ليطرح وجهتي النظر الغربية والشرقية، وكان يري بأن الجبهتين لديهم المسئولية عما وصلنا له الآن من عنف وتطرف، ليس فقط بسبب انتشار الحركات الاصولية المتطرفة في الشرق، وإنما أيضا رد فعل اليمين المتطرف الأوروبي. فهو ينتقد بشدة

الغرب ويعتبرها مسؤولة عن اختلال النظام في العالم. وبحكم أن أركون كان من أصول عربية وبحكم أنه عاش في فرنسا واطلع على العديد من ثقافات الغرب، فقد اعتبر نفسه وسيط ثقافي بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط أي بين العالم العربي والإسلامي. لذلك عمل على دراسة العوامل الثقافية المشتركة التي تجمع بين شعوب الغرب بشعوب الشرق وذلك بهدف حل التفاهم والوئام محل العداء المستحكم تاريخيا .

وعن الدين وتبرير العنف، يقول أركون: لقد استخدم الدين على مدار التاريخ لتبرير العنف من وقت الأخر فهناك دائما علاقة بين المقدس والعنف. كما الحال في حروب المذاهب المسيحية في أوروبا بين الكاثوليك والبروتستانت، رغم أنهم ينتمون الي نفس الدين. ويمكن أن نضيف الحروب التي جرت بين المذاهب الإسلامية أو بين الاسلام والمسيحية أو بين اليهود والمسيحيين الخ. وحدهم المسيحيون في أوروبا الغربية المتقدمة تجاوزوا الأصولية العنيفة إلي غير رجعة وذلك بفضل التقدم العلمي والصناعي والفلسفي والاقتصادي الذي تحقق في بلادهم على مدار القرون الثلاثة الماضية. ثم بفضل النقد الجذري للدين على يد الفلاسفة التنويرين ولكن ليست هذه هي الحالة لدي مسيحيي الشرق واليهود والمسلمين، فهنا يُمنع نقد العقائد الدينية منعا باتا، ولذلك يبقي المقدس عندنا مفعما احيانا بشحنة التعصب والعنف والانغلاق الشديد.

ولذلك كله، يذهب أركون إلي أن بعض المثقفين العرب يتوهمون أننا شرق أو أقرب إلى الشرق منا إلي الغرب، وهذا خطأ كبير، فمن منا الذي يعرف شيئا كثيرا عن أديان الشرق الأقصى وفلسفاته وعقائده؟ إنها غريبة عنا كل الغرابة. هذا في حين أن المسيحية أو اليهودية جزء لا يتجزأ منا، بل إنك لا تستطيع أن تفهم القرآن جيدا إن لم تدرس التوراة والإنجيل لأنه متأثر بهما كثيرا، فقصص وعيسي وموسي وبني اسرائيل ومريم وزكريا وغيرهم تملأ القرآن الكريم. ولذلك دعا أركون إلي تأسيس كليات في الجامعات العربية لتدريس تاريخ الأديان المقارنة، فمن دون المقارنة بين اليهودية والمسيحية والإسلام لن نفهم جيداً هذه الأديان في جملتها .

وفي الختام نعى أركون نفسه وكل ما كتبه لأنه كان يرى أنه لن ولم يلق آذاناً صاغية، لأن الساحة محتلة إما من قبل أصحاب الخطاب الديني الرسمي، أو من قبل أصحاب الخطاب الأصولي السياسي العنيف. وأي خطاب آخر ممنوع إما بحجة التغريب والغزو الفكري، وأو بحجة الكفر والخروج عن الإسلام.



الصورة ... وبناء الوهم
إسرائيل المختلقة ... وفلسطين الضائعة



بقلم: د. سحر حسن

لاشك أن اختراع آلة التصوير الفوتوغرافى التى قام باختراعها لويس داجير Louis Daguerre الفرنسى قد سبقها العديد من المحاولات والتى استغرقت ردح من الزمن ، بيد أن تلك المحاولات لم يكن بينهما أية تنسيق وعلى الرغم من هذا فقد ظهرت للعيان وكأنها مترابطة ومُتناغمة فأكملت جُلها بعضها وآلت فى نهاية الأمر إلى نجاح محاولات داجير الفرنسى عام ١٨٣٩ فى اختراع آلة التصوير الفوتوغرافى التى عُرفت آنذاك بـ " الديجيروتايب أو داجيروتيب "ومن ثم قد ذاع صيت هذه الآلة الجديدة فى كلاً من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حتى غدت عملاً مُربحاً ، وبذا وجدت طريقها إلى عالم التسوُّق ؛ إذ اتخذت الصفة الاستثمارية طريقها فى فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة .

وإزاء هذا النجاح ابتكر چوزيف بيتزفال Jozef Petzval فى عام ١٨٤٠ عدسة مقعرة لتصوير الوجوه تتميز بسرعة الأداء . كما تم اكتشاف تقنية أفضل لزيادة حساسية الشريحة المستخدمة فى طراز داجيروتيب . وفى عام ١٨٤١ أعلنت الجمعية الملكية البريطانية فى لندن عن ميلاد طراز جديد تصويري . وذلك بفضل جهود وليام فوكس تالبوت William Fox Talbot وأُطلق علية كالوتيب أو تالبوتيب وأصبحت فيما بعد " تالبوتيب " الركيزة الأساسية التى انبثقت منها معظم الابتكارات التى لحقت بالتصوير الشمسى . داغير وتولبوت



لاشك أن اختراع آلة التصوير الفوتوغرافى التى قام بإختراعها لويس داجير Louis Daguerre الفرنسى قد سبقها العديد من المحاولات والتى استغرقت ردح من الزمن ، بيد أن تلك المحاولات لم يكن بينهما أية تنسيق وعلى الرغم من هذا فقد ظهرت للعيان وكأنها مترابطة ومُتناغمة فأكملت جُلها بعضها وآلت فى نهاية الأمر إلى نجاح محاولات داجير الفرنسى عام ١٨٣٩ فى اختراع آلة التصوير الفوتوغرافى التى عُرفت آنذاك بـ " الديجيروتايب أو داجيروتيب. "

ومن ثم قد ذاع صيت هذه الآلة الجديدة فى كلاً من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية حتى غدت عملاً مُربحاً ، وبذا وجدت طريقها إلى عالم التسوُّق ؛ إذ اتخذت الصفة الاستثمارية طريقها فى فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة .

وإزاء هذا النجاح ابتكر چوزيف بيتزفال Petzval Jozef فى عام ١٨٤٠ عدسة مقعرة لتصوير الوجوه تتميز بسرعة

الأداء . كما تم اكتشاف تقنية أفضل لزيادة حساسية الشريحة المستخدمة فى طراز داجيروتيب . وفى عام ١٨٤١ أعلنت الجمعية الملكية البريطانية فى لندن عن ميلاد طراز جديد تصويرى . وذلك بفضل جهود وليام فوكس تالبوت William Fox Talbot وأُطلق علية كالوتيب أو تالبوتيب وأصبحت فيما بعد " تالبوتيب " الركيزة الأساسية التى انبثقت منها معظم الابتكارات التى لحقت بالتصوير الشمسى . داغير وتولبوت كان الفيزيائي الانكليزي وليَم هنري فوكس تولبوت يعتقد انه هو مَن اخترع التصوير الفوتوغرافي، لذلك صُدم عندما كشف داجير عن اختراعه. فقد كان تولبوت يضع في آلة الحجرة المظلمة اوراقا مطلية بكلوريد الفضة. ثم يشمّع السالب الذي يحصل عليه بعد التقاط الصورة لكي يجعله شفافا. بعد ذلك يضعه فوق ورقة اخرى مطلية بالمادة نفسها ويعرضهما لضوء الشمس، مما ينتج صورة موجبة.

لم يحظَ اسلوب تولبوت في البداية بالشعبية نفسها كالتصوير الداجيرى ، كما انه اعطى صوراً ذات نوعية أدنى بكثير. مع ذلك، كان لهذا الأسلوب مستقبل باهر. فقد أتاح إنتاج نسخ متعددة من السالب نفسه، فضلاً عن أن النسخ الورقية كانت ارخص بكثير من الصور المنتجة بالأسلوب الداجيرى ولا تحتاج إلى العناية نفسها. ولا يزال التصوير في أيامنا يعتمد أسلوب تولبوت، في حين أن التصوير الداجيرى نُسي رغم الحماس الذي لقيه في البداية. بيد أن عملية التصوير ظلت فى تطور مستمر حتى ستينيات القرن التاسع عشر بفضل السباق العلمي بين الثنائي البريطانى- الفرنسى حتى أضحت الفوتوغرافيا حرفة رائجة ومربحة . ولم تكن المدرسة الأمريكية بمنائ عن هذا الصراع الدائر بين هذا الثنائي ، بل دخلت حلبة الصراع فنجد هاملتون سيمث Hamilton Smith يُحاكى طراز " دجيرروتيب " ولكن بتكلفة أقل وأطلق عليها " تينتيب Tintype " ومن ثم انتشرت بسرعة مذهلة . وليس هذا وحسب ، بل قدمت تلك المدرسة التصوير ثلاثى الأبعاد . Stereoscope ولا غروا أن هذا الأسلوب لعب دوراً كبيراً فى إغراء الجماهير على القيام بتسجيل مناسباتهم المهمة وأسفارهم ورحلاتهم عن طريق التصوير الفوتوغرافى. ومن ثم تم تكريس ثقافة التوثيق البصرى لتفاصيل حياتهم.

بيد أن حالة تطوير التصوير لم تقف عند هذا الحد ، بل فى عام ١٨٨٨ أنتجت شركة كوداك أول آلة تصوير بها فيلم ملفوف رافعة شعار " اضغط على الزر ودع الباقي علينا " ومن هنا دخل التصوير إلى نطاق الحقبة الآلية . وقد ولدَّ فى رحم عملية النمو والتطوير ابتكارات أخرى جد مهمة نقلت العالم نقلة نوعية كالسينماتوغراف والتليفوتوغراف ، ولكن ليس مجال الحديث عنهم الآن . كما أن الحديث عن كل محاولات التطوير التى تمت لتصبح الصورة كما آلت إلينا حالياً سيستغرقناٌ لأن الحديث شرحة يطول ، فهو مشوار طويل من الجهد والعمل لثبر أغوار تلك التقنية ؛ إذ يتبين من الجهد الجهيد الذى بُذل أن اختراع التصوير الشمسي قد صُبغ بالصبغة التراكمية ، كما أنه لم يكن اختراع لدولة بحد ذاتها بل تشاركت فيه الكثير من الدول ورغم أن مصر وفلسطين لم يكن لهما دوراً فى هذا الاختراع إلا أنهما وقعا فى قلب الاختراع .

لا غرو أن تمخض عن اختراع آلة التصوير تكريس فكرة الرحلة الكبرى Grand Tour إلى الشرق ؛ تبدأ خط سيرها من أوربا مروراً بإيطاليا واليونان ثم إلى شمال إفريقيا ومصر ثم بلاد الشام وآسيا الصغرى ؛ إذ كان يُمثل الشرق بالنسبة لأوربا أحلام وخيالات مستوحاه من الأدب الشرقي القديم المترجم للغات الأوربية من قبيل " ألف ليلة وليلة و رباعيات الخيام ... إلخ " .

وحرياً بالذكر أن الرحلة الكبرى إلى الشرق كانت بمثابة الرجوع إلى أصل الكون ومهد الحضارة الأوربية ؛

إذ نشأ فى الشرق أعرق الحضارات وظهرت الديانات المختلفة وكذلك الفنون وغيرها . ومن ثم فإن علاقة أوربا بالشرق اتسمت بالطابع الأفلاطوني ، حيث ظلت الصورة المحفورة فى مخيلاتهم عن الشرق وثرواته تتسم به.

ناهيك عن هذا ، فقد كرست الرحلة الكبرى ثقافة السياحة وخاصة الدينية منها وزيارة الشرق حيث كانت آلة التصوير رفيقة الدرب فى رحلاتهم تلك " لتوثيق رحلاتهم" . لتوثيقها بصرياً ، ولا شك أن هناك روحاً دينية خيَّمت على تلك الرحلة ؛ إذ كان الباعث الرئيس وراءها هو الذهاب للأماكن المقدسة التى ورد ذكرها فى الكتب السماوية .

ومن ثم قد شغلت فلسطين مكانة بؤرية فيما كان يُسمى بـ " الرحلة الكبرى " وذلك لأنها لعب دوراً كبير فى تصوير فلسطين ولا سيما القدس " لتصوير الأماكن المقدسة " ، ولذا قام المصِّور البريطانى فرانسيس فريث Francis Frith بالتجول من مصر إلى القدس بهدف تزيين التوراة بالصور ثم التقط المصور الإنجليزي جورج كيث ٣٠ صورة فى عام ١٨٤٤ بهدف دراسة الصلة بين ما ورد في الكتاب المقدس وجغرافية الأراضى المقدسة، ولذا كانت آلة التصوير رفيقة الدرب الفعالة والسريعة والصادقة بالنسبة للسائحين والحجاج وعلماء الآثار والمستشرقين والدبلوماسيين والهواه لتوثيق رحلاتهم بصرياً. وبإيجاز ، كانت الرحلة إلى الشرق بمثابة الرجوع إلى أصل الكون ومهد الحضارة الأوربية.

حرياً بالمشاهدة ، أن رحلة الحجاج للقدس سواء بمعناها التقليدي أو بكونها رحلة ثقافية إلى منابع الحضارة فهى تُعد رمزاً لبحث الإنسان عن المثُّل والجذور والأراضي الموعودة ؛ لذا سار مسافرو الغرب إبان القرن التاسع عشر على درب الحكماء والأنبياء والرسُل والحجاج مستهلين رحلة العائلة المقدسة ؛ حيث كان سر التعلق بالديار المقدسة ثمة ولع الغرب بالشرق والصورة المرسومة فى أذهانهم عن سحر تلك البلاد التى كانت مرتبطة بالرؤية الرومانسية لمنطقة ألف ليلة وليلة للسحر والرغبات الدفيئة فكانت رسومات ولوحات الفنانين الرحالة الأوربيين تُثير مُخيلة الأوربيين حول الشرق كموقع جاذب ، لكن الصورة فى فلسطين تحديداً ارتبطت بالأماكن المقدسة ، ومن ثم تهافت المصَّورين إلى الشرق لتسجيل تفاصيله الدقيقة وزخارفه الفريدة .

بيد أن لم تُصوَّر أى بلد من بُلدان العالم كما صُورت كلاً من مصر وفلسطين ، فقد سعى الكثيرون إلى حفظ تاريخها ومكانتها الرمزية باعتبارها مهد الأنبياء... وفى الفترة من (١٨٣٩ – ١٨٨٥) توفد على فلسطين أكثر من ٢٥٠ مصور.

وليس من المستغرب أن تحتل فلسطين مكان بارزة ضمن اهتمام المصَّورين الأوربيين ؛ إذ كانت جل التصاوير التى تُظهر أجزاء من فلسطين وتحديداً القدس أكثر حضوراً فى معارض اللوحات الفنية من تلك التى تظهر فى أى بلد آخر – عدا مصر – ومن ثم نجد صعوبة فى تحديد عدد الصور التى التقطها هؤلاء المصَّورين للقدس فى القرن التاسع عشر ، كما يمكن تقسيم هؤلاء إلى فئات ثلاث بحسب منشئهم وأيديولوجيتهم :

١- مصَّورون زائرون

٢- مصَّورون أجانب مقيمون بالمنطقة

٣- مصَّورون محليون (هذه الفئة لم تظهر مبكراً)

بيد أن المصَّورين الزائرين لم يذهبوا إلى فلسطين بشكل شخصي ، بل كانوا مكلفين بتصوير المنطقة من قبل مؤسسات خاصة أو حكومية، أو جمعيات أثرية، أو جمعيات دينية - تبشيرية، أو رحلات .

وهؤلاء كانوا هم الذين التقطوا أوائل الصور لفلسطين. وعلى رأسهم فردريك جوبيل – ڤسكيه Frederic Goupil- Fesquet .

وقد دخل ڤسيكيه فلسطين قادماً من مصر فى الرابع من

ديسمبر ١٨٣٩ وهو الذى التقط أول صورة لمدينة غزة وأول صورة لمدينة القدس فى ذات الشهر ، إذ ذهب بتكليف من عالم البصريات الفرنسي جان-نقولا-ماري لوروبور Jean -Nicolas -Marie Lerebours الذى كان ينوى نشر كتاب مصور عن "أبرز معالم ومدن العالم" .وهناك مؤسسات حكومية فرنسية أوفدت بعض المصَّورين من قبيل ماكسيم دو كامب وأوغست سالزمان عام ١٨٤٩ .

وعلى نفس الدرب ، تم إرسال المصَّورين من قبل المؤسسات الآثرية ، ومن أوائل هؤلاء، المصور الفرنسى " لويس دى كليرك" Louis de Clercq الذى رافق بعثة آثرية فرنسية ١٨٥٩، وقد نشر سلسلة من الألبومات تحت عنوان عام هو: رحلة إلى الشرق" Voyage en Orient" وتضم هذه المجموعة أيضاً — المصَّورين الزائرين- عدداً من المصورين الذين رافقوا الحملات البريطانية، التى نظمها فى الغالب صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund – فى ستينيات القرن التاسع عشر فصاعداً – وكانت تضم مصَّورين كجزء من الفريق.

من هؤلاء المصَّورين، "هنري فيليبس ، جيمس مكدونالد، هوراشيو هيربرت كيتشنر". وقد عمل المصَّور " تانكريد دوماس" ، الذى اتخذ بيروت مقراً له، فى سبعينيات القرن التاسع عشر لصالح الجمعية الشرقية الأميركية. وكذلك المصَّور البريطانى بيتر برجهايم Peter Bergheim الذى أقام فى القدس وعمل مع جمعية تبشيرية، وقد ظهرت ثلاث من صوره فى مسح القدس الذى أشرف عليه كابتن شارلز ويلسون وأصدره صندوق اكتشاف فلسطين فى عام ١٨٦٥.

ولا غرو أن الاهتمام البريطانى المنصب على الأراضى المقدسة كان بهدف احتلالها مادياً ؛ ولذا فقد سبق الاحتلال تكثيف المعرفة البريطانية بالمنطقة وظهرت أول دراسة رسمية بريطانية مصورة عام ١٨٦٥ ، بعد أن عمل فريق عسكرى تابع لسلاح الهندسة البريطانية بإشراف شارلز ولسون ، فقد عملوا على رسم الخرائط والتقاط الصور للقدس وما جاورها- مما آثار اهتمام كبير فى أوربا بإرسال البعثات التصوير القدس ومناطق سوريا.-

بيد أن الهدف المعلن لهذا الصندوق هو كشف الماضى وإجراء دراسات أثرية وجغرافية ، ومن ثم قام بطبع آلاف الصور فى مجلدات ثلاث ، لكن الحقيقة هى أن هذه الدراسات والصور والخرائط أسهمت فى تعميق المعرفة البريطانية بالمنطقة ؛ إذ ساهمت تلك الخرائط والصور بدور فاعل فى دخول البريطانيين القدس أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ -١٩١٨ ، ومما كان يُؤكد هذا الكتابات التى كتبها الضباط الذين أشرفوا على عمليات المسح التى قام بها الصندوق والتى كانت ترمى إلى الفكر القائل " بتطوير فلسطين وإفساح المجال لليهود " .

وعن المصَّورين الأوائل الذين يُمكن أن يُطلق عليهم صفة المقيمين، فقد كانوا أفراداً أجانب أو محليين لهم محلاتهم الخاصة فى المنطقة : (القدس وبيروت واستانبول والقاهرة من أشهر هؤلاء "فيليكس وأدريان وليدى بونفيس.... ألخ" . وفى هذا الدرب ، لا ننسى الدور المهم والكبير أيضاً الذى لعبه الأرمن فى عمليه التصوير تلك ؛ إذ كانوا يحتلون المرتبة الأولى فيها من قبيل " يساى جرابيديان الذى أسس أول مدرسة تصوير فوتوغرافي فى فلسطين ١٨٥٧ وأسس استديو فى القدس ١٨٥٩ ، وجرابيد كريكوريان الذى بدأ التصوير عام ١٨٦٥ ثم چوزيف توماپان و هالادچيان وكيفورك. كما عمل داود صابونجى فى مدينة يافا عام ١٨٩٢ ، وخليل رعد فى مدينة القدس عام ١٨٩٧ ثم ميليتاد ساڤيديس عام ١٨٩٨ ... إلخ .

هذا عن آلة التصوير والمصَّورين ، أما عن المنتج الذى نشأ نتيجة هذا إلا وهو الصورة الفوتوغرافية نفسها .

فإن الصورة تُعد مرآة ذات ذاكرة ،

فإن الصورة تُعد مرآة ذات ذاكرة ، كما أنها ليست مجرد ورقة مطبوعة ولكنها وثيقة وليست بالوثيقة العادية بل هى وثيقة مرئية ؛ ولذا تقع تحت طائلة النقد والتحليل . وبالتالي يجب أن نأخذ فى عين الاعتبار الظرف الزماني وكذلك المكاني والتاريخي أضف إليهم إيديولوجية المصَّور. هذا مع العلم بأن الصورة قد تُشكل جزء من الوعى المعرفي والانتمائي ،وكذلك الذاكرة الفردية والجمعية وذلك من خلال – الأمكنة والأشخاص والعائلات . فلا شك أن الصورة لعبت دوراً مهماً كما ذكر فريث فى مقدمة كتابه " يُمكننى القول مع التأكيد على القيمة الكبيرة للصورة الفوتوغرافية الجيدة عن الآثار والتحف الشرقية ، إن يد التغيير السريعة تُصيب الكثير من المعالم البارزة . بالإضافة إلى أنياب الزمن القاسية والرياح الرملية التى تهب بلا انقطاع ؛ فإن المعابد والمقابر مُعرضة دائماً لعمليات السلب المستمرة وحكام الأقاليم يأخذون الأحجار المصقولة الضخمة والفلاحون يستولون على ما يتوفر أمامهم من أحجار .

وبينما يعمد السائح من كل الأمم إلى كسر ما يقع تحت أيديهم ،وهو لا شك الأجمل من الناحية الهندسية والمعمارية يأخذونه إلى بلادهم "

ثمة إشكالية جد مهمة تطرحها الورقة البحثية ألا وهى : كيف أسهمت الصورة الفوتوغرافية فى إنشاء الدولة العبرية ؟ وبصورة أخرى ما هو الدور الذى لعبته الصورة فى نشأة دولة إسرائيل ؟ قبل محاولة الإجابة على هذا لابد لنا أن ننتبه إلى ما كان يدور ويحدث على الساحة من أحداث فإن الحركة الصهيونية لم تكن بمنائ عما كان يجرى علي الساحة الدولية من أحداث سياسية واقتصادية وفكرية، كانت تُراقب عن كثب كل هذا وتقوم باستغلاله لصالح تحقيق مآربها .

فمن الجدير بالذكر هنا ، إنه فى نفس العام الذى أُخترعت فيه آلة التصوير (١٨٣٩) أطلق اللورد شافستبرى (١٨٠١ – ١٨٨٥)فى مقال نشره فى صحيفة "كوار ترلى ريفيو " أكذوبة مُفادها " إن فلسطين أرضاً بلا شعب وشعباً بلا أرض " وبالطبع استغل زعماء الحركة الصهيونية تلك المقولة مع استغلالهم لاختراع آلة التصوير الجديدة وعملوا على تحويل تلك الأكذوبة إلى حقيقة على أرض الواقع .

ومن ثم عمل المصَّورين على التقاط صور فوتوغرافية تكاد تكون خالية من الأشخاص ، لاغرو أن حالة تغيُّب الأشخاص هذه تُبين حالة ازدراء وتهميش لسكان المكان، فهناك مناطق كاملة ظهرت فارغة من الأشخاص وشوارع فى القدس والناصرة وطبريا ويافا أيضاً خاوية من السكان، تلك الحالة التصويرية استغلتها واستفادت منها الحركة الصهيونية لإيهام اليهود فى أوربا وخارجها أن هذه الأرض بدون شعب. وهنا ثمة ملاحظة مهمة وهى أن حالة التغيُّب تلك لم تكن عابرة بل كانت تدل على أيديولوجية المصور ؛ إذ كانت مقصودة بسبب رؤية هؤلاء المصَّرين أن تلك الناطق أثرية وبها مواقع دينية فلا ينسجم على الإطلاق وجود الفلاحين معها، هذا بالإضافة إلى نظرتهم الدونية لسكان فلسطين ، وإن أظهروهم فى الصور فكان نادراً أو بشكل مشوه .

ومن ثم قامت الحركة الصهيونية بتجميع وشراء هذه الصور وترويجها بين الجاليات اليهودية فى العالم بشكل عام وفى أوربا بصورة خاصة.

بيد أن لعاب اليهود أخد فى السيلان ، وذلك للانتقال لتلك الأراض الخالية من البشر ، لا سيما وأن اليهود فى أوربا وتحديداً فى الشرق منها وفى العالم كانوا غير مرغوب فى تواجدهم وكانت كل شرائح المجتمع تتجنب التعامل معهم ، فكانوا يعيشون فى عزلة تامة غرباء – دخلاء – مكروهين مما شجعهم هذا في البحث والهرب إلى مكان آخر يتمتعون فيه بالاحترام وكان هذا المكان هو أرض فلسطين حسب مؤتمر بال ١٧٩٨.

ومن ثم بدأ اليهود فى التسلُّل إلى فلسطين وفق مخطط منظم ومرتب لإقامة المستعمرات بها ، وإذا بحثنا فى أعداد اليهود الذين كانوا فى فلسطين قبل اختراع الآلة وبعدها سنتأكد من صحة هذا الطرح .

ففي عام ١٨٣٧ لم يكن بها سوى ١٥٠٠ يهودى ، ثم أصبح فى عام ١٨٤٠ أى بعد اختراع الآلة بعام واحد فقط ١٥ ألف يهودى ، حتى تراوح العدد فى عام ١٨٨١ ما بين ٢٢ إلى ٢٥ ألف يهودياً وأغلبيتهم كانوا

يقطنون مدينة القدس . وبالطبع لم يذهب جل هذا العدد دفعة واحدة بل تسلل إلى هناك على هيئة هجرات. ومنذ عام ١٨٨٢ وحتى عام ١٩٤٨ لو تنقطع الهجرات اليهودية إلى الأراضى الفلسطينية بل استمرت وفى تزايد ؛ إذ مرت تلك الفترة بمرحلتين :

المرحلة الأولى :١٨٨٢ -١٩١٨

وبلغ عدد اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين بالإضافة إلى الموجودين بها ٨٥ ألف نسمة ، كما بلغ عدد المستعمرات نحو ٤٧ مستعمرة صهيونية .

المرحلة الأولى ١٩١٩ – ١٩٤٨

وقد شهدت تزايداً بشكل كبير جداً حتى بلغ عددهم فى نهاية الانتداب البريطانى ٦٢٥ ألف نسمة أى ما يُعادل ثلث السكان الذى كان يبلغ آنذاك نحو مليون وثلاثمائة ألف نسمة.

وبالنظر إلى هذه الأعداد وتحليلها يتبيّن لنا كيف نجحت الحركة الصهيونية فى الترويج لأكذوبتها " إن فلسطين أرضاً بلا شعب ... وشعباً بلا أرض " ، وكيف لاقت نجاحاً كبيراً فى تسلُّل اليهود إليها من خلال نشر وترويج الصور الأولى التى صورت فلسطين ولاسيما القدس وهى خاوية ، وكذلك الصور التى قاموا بتصويرها ؛ لا شك أن الصورة لعب دوراً كبيراً فى إقناع اليهود وشرعوا فى الهجرة إلى أرض فلسطين وأقاموا بها وأنشأوا المستعمرات .

لم تقف الدول الأوربية مكتوفة الأيدي إذ كان لديها الرغبة فى خروج اليهود من بلادهم ، ومن ثم لما شرع المهاجرين يتدفقون إلى الأراضى الفلسطينية وارتفعت وتيرة إقامة المستعمرات أمدتهم بالآلات الزراعية والصناعية الحديثة وكذلك بالسلاح ، فأقاموا المزارع الخضراء والمباني داخل المستعمرات ، وهنا على صعيد التصوير الفوتوغرافى قام المصورون اليهود بالتقاط آلاف الصور لمزارعهم ومنشآتهم وعملوا على ترويجها فى الدول الأوربية ، وذلك بهدف عمل دعاية جديدة لتشجيع باقي اليهود فى الهجرة إلى فلسطين من خلال إبراز قدرة المهاجرين اليهود على تحويل الأرض القفار إلى جنان خضراء .

وهنا نجد أن الصورة لعبت دوراً مزدوجاً ، أولاً بتشجيع الطائفة اليهودية للرحيل إلى فلسطين وثانياً كسب التأييد والدعم اللازم من أوربا . وبالفعل فقد لاقى هذا صدا واسعاً فى الأوساط الأوربية الرسمية والشعبية ، وكان خير دليل على هذا ما كتبه المندوب السامى البريطانى آنذاك هربرت صموئيل " إن المستوطنين فى كل أنحاء البلاد يعملون فى الأرض بتلهف وإيمان . إن المستنقعات والقفار تتحول إلى حدائق غّناء، بلاد متخلفة تتحول إلى دول متطورة وهؤلاء الناس الذين يقومون بهذه الأعمال جديرون بأن يُحوِّلون العدّو إلى صديق . "

وإتماماً للمخطط قام البريطانيين بتسليم آلاف الصور الفوتوغرافية التى صورها الانتداب البريطانى ، إبان سيطرته على فلسطين لليهود كهدية كى تُساهم فى تسهيل احتلال فلسطين ، لا سيما أنهم قبل دخولهم فلسطين قاموا بتصوير مدنها وقرها وكذلك الخرائط العسكرية والجوية من أجل السيطرة على البلاد ، وذلك نزولاً عن رغبة بن جوريون الذى ألح على حكومة الانتداب لتصوير المواقع الفلسطينية ، ومن ثم بعد إقرار تصريح بلفور ١٩١٧ بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

وليس هذا فحسب ، بل إنهم قاموا بحجب جل الصور الفوتوغرافية وإخفاؤها ضمن مخطط مدروس تلك الصور التى كانت تُبين الواقع الفعلي للأراضي الفلسطينية ومعالمها . وعن عمد واظب الكيان الصهيوني على إخفاء الصور لسنوات طوال خوفاً من إظهار حقيقة المكان ومحاولة لطمس أصول وهوية الشعب الفلسطيني الضاربة فى عمق التاريخ ومن ثم قاموا بإغلاق أرشيفات الصور فى إسرائيل أمام الباحثين العرب لسنوات طوال؛ إذ كان تُدار تلك الأرشيفات من قبل باحثين ومفكرين يحظون برعاية ودعم جهاز الأمن الإسرائيلي ، وليس هذا فقط ، بل أنشأت أرشيفات جديدة تعمل على إبراز الصورة الفوتوغرافية التى توثق لانتصاراتها وحروبها التى خاضتها مع العرب والفلسطينيين من قبيل (الهجاناه) وأرشيف الجيش (البلماخ) وأرشيفات الصحف العبرية ... إلخ.

وأخيراً سأختتم بتلك المقولة التى قالها الدكتور أوسكار ليفى والتى تُبين لنا كيف يرى اليهود أنفسهم بالنسبة للعالم أجمع " نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه " .

أرمينيا والأرمن

بقلم: رباب محمد سليمان

الأوبـرا وذاكـرة الكاريكـاتير يحـتفلان بالـذكرى ١٢٥ على ميلاد صاروخان


لأول مرة الكورال الأرمني يغني على مسرح الأوبرا المصرية

نظمت إدارة النشاط الثقافي بدار الأوبرا بإشراف عام الأستاذ الدكتور: خالد داغر، بالتعاون مع مؤسسة عبدالله الصاوي للحفاظ على تراث الكاريكاتير المصري، وجمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، وأسرة رسام الكاريكاتير المصري الأرمني ألكسندر صاروخان (١٨٩٨-١٩٧٧)؛ يوم الأحد ٢٨ يناير ٢٠٢٤، بالمسرح الصغير بالأوبرا، احتفالية: ١٢٥ عامًا على ميلاد صاروخان.

وضم المعرض مستنسخات عالية الجودة لأكثر من مئة بورتريه كاريكاتيري من أول معارض صاروخان الكاريكاتيرية بالإسكندرية عام ١٩٢٧، لمجموعة من الشخصيات التي عاشت في الإسكندرية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين.

و تضمن الحفل فقرة غنائية لكورال دزيادزان التابع لجمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة وهى المرة الأولي التى غنى فيها الكورال الأرمنى على مسرح الأوبرا المصرية، وتم عرض فيلم تسجيلي مدته نصف ساعة من تأليف وإخراج المخرج: معتز راغب، سيرة ومسيرة صاروخان من الميلاد حتى الرحيل. يليها فقرة استعراضية تقدمها فرقة الفولكور الأرمني زانكيزور التابعة لنادي جوجانيان .

واختتم الحفل بندوة عن صاروخان ومناقشة لكتاب: بورتريهات الإسكندرية، للباحث: عبدالله الصاوي، الصادر بدعم من جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، احتفالًا بالذكري ١٢٥ على ميلاد صاروخان. وشارك في الندوة الأستاذ الدكتور: جورج نوبار سيمونيان، رئيس مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، والسيدة: سيلفا جرابت نارديان، حفيدة صاروخان.

تكريم صاروخان بجامعة المنصورة



الأستاذ الدكتور/ جورج نوبار رئيس مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

واستمراراً لدور جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة في الحفاظ على التراث الأرمني، افتتح الاستاذ الدكتور: شريف شتا عميد كلية الفنون الجميلة بجامعة المنصورة،

والأستاذ الدكتور: جورج نوبار، رئيس مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة، ومؤسسة عبدالله الصاوي للحفاظ على تراث الكاريكاتير المصري بقاعة مؤتمرات جامعة المنصورة، معرض بورتريهات.. الإسكندرية، لرسام الكاريكاتير المصري الأرمني: ألكسندر صاروخان (١٨٩٨ - ١٩٧٧)، وذلك ضمن فاعليات احتفالية: ١٢٥ عامًا على ميلاد صاروخان، التي ينظمها مشروع ذاكرة الكاريكاتير التابع لمؤسسة عبدالله الصاوي للحفاظ على تراث الكاريكاتير المصري، بالتعاون مع مركز جامعة المنصورة لرعاية المبتكرين والموهوبين والنوابغ، وكلية الفنون الجميلة بالمنصورة، وجمعية القاهرة الخيرية الأرمنية ...

حفل توقيع قصة لعبة هايك للكاتب محمد مندور في معرض القاهرة للكتاب

وقع الكاتب محمد مندور في ٤ فبراير ٢٠٢٤ كتابه الجديد "لعبة هايك"، قصة أطفال، الصادرة عن دار حابي للنشر، وذلك بجناح الدار بمعرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠٢٤ .قامت بتنفيذ رسومات القصة فنانة رسوم الأطفال الأرمنية الشهيرة نايرا أهارونيان. وتتم طباعة السلسلة برعاية بطريكية الأرمن الأرثوذكس بمصر.



فايننشيال تايمز تختار كتاب أرمين سركيسيان "نادي الدول الصغيرة" من أفضل الكتب السياسية الجديدة

في ٦ فبراير ٢٠٢٤ تمّ تصنيف الكتاب الذي صدر مؤخراً بعنوان "نادي الدول الصغيرة" والذي كتبه الرئيس الرابع لأرمينيا أرمين سركيسيان، من قبل صحيفة فايننشيال تايمز كواحد من أفضل الكتب الجديدة حول المواضيع السياسية والاقتصادية.

للمرة الأولى انتخاب أرمينيا عضوًا في مجلس إدارة الشبكة الأوروبية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان

في ٨ فبراير ٢٠٢٤ قالت الشبكة الأوروبية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان (ENNHRI) في بيان لها، إنه لأول مرة تم إدراج أرمينيا في مجلس إدارة الشبكة الأوروبية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان (ENNHRI) مع انتخاب ممثلة حقوق الإنسان الأرمنية أناهيت ماناسيان كعضو في مجلس إدارة الشبكة الأوروبية للمؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان.(ENNHRI)

أعضاء من الكونغرس الأمريكي يقدّمون-مشروع قانون حماية الأرمن وأرمينيا

في ١٠ فبراير ٢٠٢٤ قدمت مجموعة من أعضاء الكونجرس الأمريكي قانون حماية أرمينيا (H.R7288) وهو مشروع قانون من شأنه تقييد المساعدات الأمريكية لأذربيجان عن طريق إزالة السلطة الرئاسية للتنازل عن المادة ٩٠٧ من قانون دعم الحرية وتم اعتماد نظيره في مجلس الشيوخ بقيادة السيناتور جاري بيترز ،بالإجماع في العام الماضي.

لقاء زانا أندرياسيان بوزير الثقافة الإماراتي الشيخ سالم بن خالد القاسمي وبحث التعاون

في ١٤ فبراير ٢٠٢٤ التقت وزيرة التعليم والعلوم والثقافة والرياضة الأرمنية زانا أندرياسيان بوزير الثقافة الإماراتي الشيخ سالم بن خالد القاسمي، وتضمن اللقاء التأكيد على أهمية التعاون الثقافي في العلاقات بين أرمينيا والإمارات العربية المتحدة و مواصلة تنفيذ البرامج الثنائية من حيث تبادل الخبرات في مجال الثقافة وتنظيم الفعاليات الثقافية المشتركة.

لجنة الجمعية الوطنية الفرنسية اعتمدت قرارا يدين التطهير العرقي في ناجورنو كاراباخ

فى١٥ فبراير ٢٠٢٤ اعتمدت لجنة الشؤون الدولية في الجمعية الوطنية الفرنسية قراراً يدين التطهير العرقي الذي قام به علييف في ناجورنو كاراباخ، وأدانت أيضاً غزو أذربيجان وحدة أراضي أرمينيا. هذا ما كتبه عضو الجمعية الوطنية الفرنسية هوبير جوليان لافيرير على مدونته الصغيرة إكس.

أرسين هاروتيونيان يحرز بطولة أوروبا للمرة الرابعة بفوزه على ممثل تركيا

في ١٧ فبراير ٢٠٢٤ أحرز عضو منتخب المصارعة الحرة الأرمني أرسين هاروتيونيان بطولة أوروبا للمرة الرابعة بعد فوزه على خصمه التركي محمد كارافوس في بطولة أوروبا للمصارعة الحرة التي أقيمت في بوخارست.

وزيرا خارجية أرمينيا والأردن يبحثان الوضع حول الحي الأرمني في القدس

في ١٩ فبراير ٢٠٢٤ وفي إطار مؤتمر الأمن بميونيخ، التقى وزير خارجية أرمينيا آرارات ميرزويان بنائب رئيس الوزراء وزير الخارجية وشؤون المغتربين الأردني أيمن الصفدي. وتم خلال اللقاء التطرق إلى تفعيل الحوار السياسي رفيع المستوى، والزيارات المتبادلة، ومواصلة توسيع التعاون المكثف بين البلدين في مختلف المجالات. وتم خلال اللقاء التطرق إلى الأوضاع المتعلقة بالحي الأرمني في القدس.

لقاء علمي أرمني مصري

في ٢٢ فبراير ٢٠٢٤ وعلي هامش "المنتدى العالمي الثالث لثقافة السلام العادل" المنظم من قبل مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية في القاهرة، التقي وفد من جامعة يريفان الحكومية، المكون من نائب رئيس الجامعة للتنمية والابتكار السيد ميكايل هوفهانيسيان، وعميد كلية الدراسات الشرقية السيد روبين ملكونيان ورئيس قسم الدراسات العربية السيد هايك كوتشاريان والمحاضر في قسم الدراسات العربية السيد فاهي هاكوبيان، التقى مع أ.د. محمود السعيد نائب رئيس جامعة القاهرة لشؤون الدراسات العليا والبحوث و أ.د. نجلاء رأفت سالم عميدة كلية الآداب بجامعة القاهرة. وخلال اللقاءات، تم التطرق إلى آفاق التعاون الثنائي، واتفق الطرفان على إعادة توقيع اتفاقية التعاون بين جامعة يريفان الحكومية وجامعة القاهرة في المستقبل القريب.

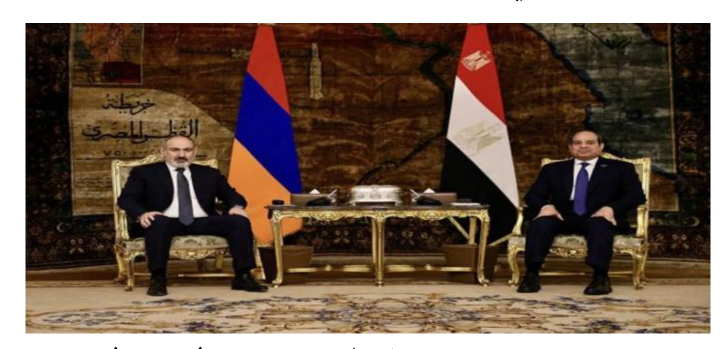
موقف أرمينيا من الصراع بين فلسطين وإسرائيل واضح

في ٢٨ فبراير ٢٠٢٤ قال الرئيس الأرمني فاهاكن خاتشاتوريان هذا خلال لقاء مع الطلاب في جامعة بغداد رداً على سؤال أحد الطلاب ما هو موقف أرمينيا من قضية فلسطين: "أرمينيا لديها موقف واضح بشأن الصراع الفلسطيني. لقد أتيحت لنا مناسبات للحديث عن ذلك وموقفنا هو كما يلي: نحن نقبل حقيقة وجود الدولتين. لقد عبرنا علناً عن هذا الموقف على منصات مختلفة، بما في ذلك أثناء اعتماد قرارات الأمم المتحدة المختلفة. دعينا منذ اليوم الأول إلى وقف الصراع والدخول إلى ميدان التفاوض وحل القضية على طاولة المفاوضات وليس حل القضية بالعمليات العسكرية."

العرض الأول للفيلم الوثائقي ؛أبجدية ماشتوتس

في ٢ مارس ٢٠٢٤ نظمت الجالية الأرمنية في مصر العرض الأول للفيلم الوثائقي " أبجدية ماشتوتس " للكاتب محمد مندور، وذلك في مدرسة كالوسديان نوباريان الأرمنية بمصر الجديدة بالقاهرة، بحضور السيد هراتشيا بولاديان سفير جمهورية أرمينيا لدى جمهورية مصر العربية والمطران أشود مناتساكانيان، مطران الأرمن الأرثوذكس بمصر وعدد من الإعلاميين الصحفيين والفنانين وممثلى الجالية الأرمنية بمصر .

الرئيس السيسي يستقبل رئيس وزراء جمهورية أرمينيا

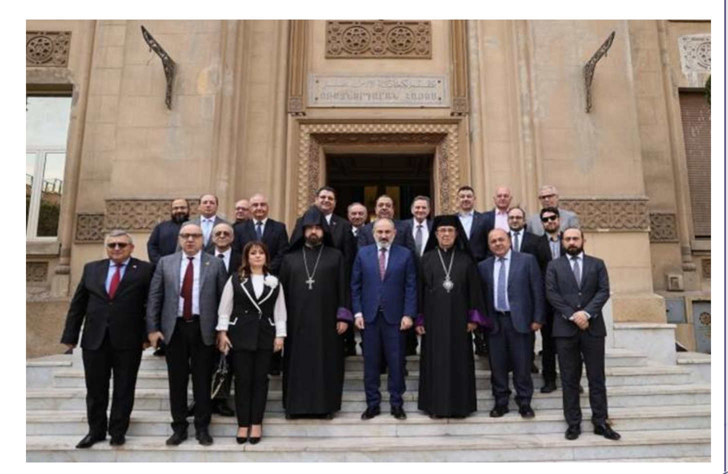


في ٥ مارس ٢٠٢٤ استقبل الرئيس **عبد الفتاح السيسي** في قصر الاتحادية السيد نيكول باشينيان رئيس وزراء أرمينيا ، والذي قام بزيارة مصر لمدة يومين. وتناولت المباحثات بين السيد الرئيس ورئيس وزراء أرمينيا تناولت سبل تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين، وأثنى الجانبان على العلاقات التاريخية التي تربط الشعبين المصري والأرميني وأكدا ارتياحهما لمستوى التنسيق المشترك، كما تم استعراض التعاون الثنائي وآفاق التوسع فيه في مختلف المجالات بما يرتقي لطموحات الشعبين الصديقين.

وزيرا خارجية أرمينيا ومصر ناقشا قضايا الأمن الإقليمي

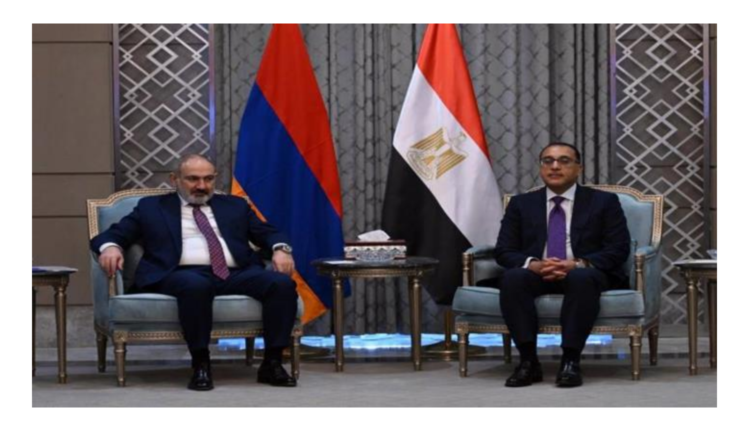
في ٦ مارس ٢٠٢٤ عقد وزير خارجية جمهورية أرمينيا السيد آرارات ميرزويان اجتماعاً مع نظيره المصري وزير الخارجية المصري سامح شكري في القاهرة.. وتبادل وزيرا خارجية أرمينيا ومصر الأفكار حول جدول الأعمال الثنائي وآفاق توسيع الحوار السياسي.

باشينيان يزور كنيسة القديس كريكور المنور الأرمنية بالقاهرة ويلتقي ممثلين من الجالية الأرمنية بمصر



في ٦ مارس ٢٠٢٤ زار الوفد برئاسة رئيس وزراء أرمينيا نيكول باشينيان كنيسة القديس كريكور المنور الأرمنية بالقاهرة.، وكان في استقباله المطران أشوت مناتساكانيان ورئيس كنيسة الأرمن الكاثوليك في مصر جيرابيشار كريكور أوغسطينوس جوسان وأشعل رئيس الوزراء شمعة ووضع الزهور على الخاتشكار الأرمني تخليداً لذكرى ضحايا الإبادة الجماعية الأرمنية. بعد ذلك عقد رئيس الوزراء اجتماعاً قصيراً مع مجموعة من ممثلي الجالية الأرمنية في مصر.

إطلاق اسم أرمينيا على إحدى ساحات العاصمة المصرية



في ٦ مارس ٢٠٢٤ خلال اللقاء مع رئيس الوزراء الأرمني نيكول باشينيان شكر رئيس الوزراء المصري مصطفى مدبولي الجانب الأرمني على تسمية أحد ميادين يريفان باسم مصر، وأضاف أن الجانب المصري سيطلق اسم أرمينيا على إحدى ساحات القاهرة.

شيخ الأزهر ورئيس وزراء أرمينيا يتفقان على تنظيم معرض للمخطوطات فى الأزهر

في ٦ مارس ٢٠٢٤ استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، بمشيخة الأزهر،

"نيكول باشينيان"، رئيس وزراء أرمينيا، لبحث سبل تعزيز العلاقات والتعاون المشترك. وعرض رئيس الوزراء الأرمنى على فضيلة الإمام الأكبر تنظيم معرض فى الأزهر الشريف لأبرز المخطوطات الإسلامية التاريخية التى تملكها أرمينيا، التى تتجاوز مئات المخطوطات.

باشينيان : التهجير القسري لأرمن ناجورنو كاراباخ هو التحدي الأكبر لعام ٢٠٢٣ لأرمينيا

اعتبر رئيس وزراء أرمينيا نيكول باشينيان أن التهجير القسري لأرمن ناجورنو كاراباخ هو التحدي الأكبر لعام ٢٠٢٣. وقال باشينيان ذلك في المؤتمر الصحفي الذي عقد اليوم في ١٢ مارس، مضيفاً أن حكومة جمهورية أرمينيا وشعب أرمينيا تمكّنا من استقبال ١٠٠ ألف شخص وتلبية احتياجاتهم على المدى القصير..

سفير أرمينيا لدى مصر يلتقي المدير التنفيذي لجمعية الهلال الأحمر المصري وبحث إيصال المساعدات لغزة



في ١٤ مارس ٢٠٢٤ التقى سفير جمهورية أرمينيا لدى جمهورية مصر العربية هراتشيا بولاديان بالمدير التنفيذي لجمعية الهلال الأحمر المصري د. رامي الناظر و ناقش الطرفان التفاصيل المتعلقة بتقديم ونقل المساعدات الإنسانية من قبل أرمينيا إلى سكان غزة.

كورال جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة على مسرح الأوبرا المصرية



صاروخان في كلية الفنون التطبيقية جامعة المنصورة









